الفصل الثالث

مرحلة الاستقلال

(1932 - 1958)

الفصل الثالث

مرحلة الاستقلال

(1932 – 1958)

رحلة الجواهري مع الملك غازي

نال العراق استقلاله عام (1932) ، بعد دخوله (عصبة الأمم المتحدة) في عهد الملك (فيصل الأول)، وقد توقفنا في الفصل السابق على حقيقة الصراع بين الشاعر الجواهري والملك فيصل. وبعد وفاة الملك عام (1933) خلفه على العرش نجله الوحيد (غازي)[1] الذي انتهج سياسة وطنية، تحقق رغبات الشعب[2]، غير أن مسيرة الشاعر مع مع الملك الشاب، قد مرت بمنعطفات حادة، تكاد تنحصر بمرحلة ما قبل التنصيب، وهي مرحلة المدح والإعجاب، لكونه شاعر البلاط، ومرحلة القدح والمقت، وهي مرحلة ما بعد التنصيب، التي هي حقيقتها امتداد لمرحلة القطيعة بين الشاعر والبلاط، لذا نجد أن الجواهري قد مدح الملك (غازي) يوم أن كان على وفاق تام مع والده (فيصل الأول) سنة (1927)، فكتب قصيدته: (تحية سمو الأمير) حيث يقول فيها:

تكادُ لـ "لندنَ" شوقاً تطيرُ ... لترجعَ بالضيفِ "بغدانه"
يحييكَ فخرُ شباب العراق ... شِيبُ العراق وشُبّانه
قدومُك "غازي" يزيْنُ الأوان ... وكم قادمٍ زانَه آنه
سلِمتَ فهذا أوانُ القَريض ... ويومُ الشُعورِ ومَيدانُه
وما أنا مَن سِيمَ في شِعره ... ولا أنا مَن ضِيمَ وجدانه
ولكنَّه نفسٌ طاهرٌ ... قديمُ القصائدُ بُرهانه[3]

غير أن القصيدة في حقيقتها هي إرضاء للملك (فيصل الأول) ، وما الأمير إلا مدخل محبب به يسر الشاعر فؤاد مليكه بمدحه ؛ لأنّ الشاعر بعد أبيات قلائل يعرج إلى مدح الملك وما لقيه من صعاب في مفاوضاته مع الانكليز، ثم يختم قصيدته، مستفهما عن سرّ أحقاد الغرب تجاه العرب والمسلمين، حيث يقول:

مليكٌ وتكفيهِ أتعابُه ... وشعبٌ وتكفيهِ أحزانُه
فحدِّثْ فقد أذنت بالسّماع ... لِحلْوِ حديثِك آذانُه
عن العِلمِ في الغربِ ما بألُهُ ... وعن رجُلِ الغربِ ما شَأنُه

(1) ينظر: مذكراتي: 1 : 290. وينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 65.
(2) ينظر: عدنان الراوي حياته وشعره: 83.
(3) الأعمال الكاملة: 1 : 185.

وهـــلْ فـــي الشـــدائدِ أحقـــادُه تُعيـــنُ علـــيهِ وأضـغانُـــه
تَباهـى بـمثـلك أكـفـاؤهُ ولاةُ الـعُـهودِ و"أقرانـه" [1]

وعندما ساءت علاقة الشاعر بالملك(فيصل الأول) انعكست على ولده(غازي) بعد التنصيب ((حيث لم يكن الشاعر على صلة بالملك الشاب الذي التفّ حوله القوميون))[2]، وكان الشاعر من أشد المناوئين لسياسات الملك الجديد، وذلك للاختلاف الأيدلوجي بينهما[3]، فضلا عن أسباب أخرى ذكرها الجواهري في (مذكراته)، يمكن إجمالها بالاتي: بالاتي:

1- إنّ محاولة الملك (غازي) التخلص من الاستعمار البريطاني قد أوقعته في دائرة النفوذ(الألماني) في العراق عن طريق سفيرها د.(غروب)[4]، ومن المعلوم أن الشاعر يكره ألمانيا الهتلرية، أكثر مما يكره بريطانيا.
2- اعتماده على عناصر وطنية متطرفة، أمثال (بكر صدقي) الذي يصفه بالسفاح الذي انتقم من أتباع حركة (التياريين الآشورية) ، ويعده الشاعر أحد الأسباب التي أدت إلى الأضرار بسمعة المملكة في الخارج، وفي التسبب بوفاة الملك (فيصل) الذي آلمه سلوك ابنه اللامسؤول. [5]
3- تصفيته الجسدية للرموز والشخصيات، التي وقفت إلى جانب والده في تأسيس مملكة العراق، كما حدث مع (جعفر العسكري) و(رستم حيدر) ، حيث تخلص منهما وأبعد الثالث (نوري السعيد). [6].
4- إنّ عهد غازي كان عهد حزازات وضغائن، فيما بين المسؤولين السياسيين؛ للاستيلاء على المناصب والعشائر، التي استغلت لمآرب سياسية، تمثلت بالانتفاضات العشائرية، لتي أدت إلى سقوط (الوزارات) وكان من جرائها أن أريقت دماء أبنائها. [7]

وقد عاصر الجواهري أحداث تلك المرحلة بكل جزيئاتها وتفاصيلها، ويعدها الجواهري بأسوأ مرحلة في تاريخ الحكم الملكي، حيث يقول: ((لقد عشت أنا بالذات، هذه الفترة، بل ودفعت الثمن الغالي، بل أغلى ثمن في حياتي كلها، .....فلم يكن هناك في كل

---

(1) الأعمال الكاملة: 185.
(2) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 56.
(3) انقسم الشعراء في الأربعينات إلى قوميين، وشيوعيين، وكان الجواهري محسوبا على التيار الماركسي، الذي كان موجودا في العراق آنذاك. ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 128. وينظر: تاريخ الشعر العربي الحديث: 498. والتطورات السياسية في العراق: 118. وجريدة الرأي العام(العدد)(1376): 8، ت2،1945. والجواهري شاعر التجديد والثورة: 29. والجواهري جدل الشعر الحياة: 123. والجواهري دراسة ووثائق: 72 ،73.
(4) ينظر: مذكراتي: 1 : 297. وينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 64.
(5) ينظر: مذكراتي: 1 : 295.
(6) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 296.
(7) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 297 ،309. وينظر عدنان الراوي حياته وشعره: 15.

حياتي، وأنا في توالي الثمانينات.من مدّ يده علي ليسجنني بالرغم من ألف كلمة وكلمة، وقافية وقافية تستوجب السجن إلّا يد(حكمت سليمان) و(صالح جبر) و(بكر صدقي))[1].

وقد آلم الجواهري كثيرا، ما لحق به وبأبناء قومه من الخطوب والنوائب، وكعادته لكونه شاعرا يحمل هموم الآخرين، كان لا بد من تعرية من كانوا سببا في مأساتهم، على الرغم من المجالس العرفية، يقول الجواهري: ((فأنا لم أخلق لكي أكون مدرسا أو معلّما، أو موظفا، بأي مستوى كان، وإنّما أن أحمل تلك الهموم، وهذه المشاركة، شئت أم أبيت. لقد دخلت السياسة من أبواب أخرى، من باب حبّ المشاركة للناس، ولو كنت مخلوقا لغير هذا المفهوم من السياسة، أي أن أكون لبنة في عمارة الحاكمين لعرفت طريقي إليها، بيد أني مخلوق لأكون هذا الذي أنا عليه الآن))[2].

إنّ في مثل تلك الظروف جاءت قصيدة(في سبيل الحكم)، وهي صورة صادقة لانطباق إحساس الشاعر المنسجم مع نفسه على مشاعر الآخرين وأحاسيسهم، وفيها يقول:

لقد ساءَني عِلْمي بخُبثِ السرائرِ ... وأنّي على تطهيرها غير قادر
وآلمَني أنّي أخيذُ تفكُّرٍ ... بكلِّ رخيصِ النفس خِبّ مُماكر
ولم يبقَ معنىً للمناصِبِ عندَنا ... سِوى أنّها مُلكُ القريبِ المصاهر
وكانتْ طِباعُ للعشائرِ تُرتَجَى ... فقد لُوِّثَتْ حتى طباعُ العشائر[3]

لقد أحدثت القصيدة هذه ضجة كبرى في الساحة السياسية، إذ دفعت مجلس الوزراء إلى اتخاذ قرار بغلق الصحيفة، وتقديم الجواهري للقضاء، ثم إعفائه من وظيفته، وخرج الجواهري من جميعها منتصرا وكأنه قد مدح الملك، ولعل من أغرب المفارقات أن يلقاه رئيس الوزراء (ياسين الهاشمي) ليعده بكرسي النيابة بعد أيام قلائل من نشر قصيدته، قائلا له: ((يا مهدي لو تعلم ماذا اقترح عليّ هنا في هذا المكتب أحدهم من عقوبة لك؟ لقد جاء على بالي الكثير من هذا...أتعلم ما قلت له؟....له الحق في ما قال، والآن....ما الذي استطيع أن أقدمه لك؟ أريدك للمجلس النيابي))[4]. وبقي الجواهري على ما كان عليه، يعكس سلبيات الواقع الاجتماعي في قصائده متخذا منها سبيلا للهجوم على الحاكم. إنّ الجواهري الذي مدح الأمير(غازي) عام:(1927) يوم أن كان في كنف والده يذمه بعد مضي (ثماني) سنوات على قصيدته الأولى فيه بعد أن خاب ظنه به، يوم أن حكم البلاد، فأعلن ندمه، وأوضح أن لا سبيل لكفارة مدحه إلا بهجائه، كما في قصيدته: (معرض العواطف):

أبرزتُ قلبي للرُّماةِ مُعرَّضاً ... وجَلَوتُ شعري للعواطفِ مَعرِضا
ووجدتني في صفحةٍ وعقيبها ... متناقضاً في السُّخطِ مِنّي والرِضا
أبرمتُ ما أبرمتُهُ مُستسهلاً ... أنْ حانَ موعدُ نقضِه أنْ يُنقضا

(1) المصدر نفسه: 1 : 298.
(2) مذكراتي: 1 : 309.
(3) الأعمال الكاملة: 2 : 340.
(4) مذكراتي: 1 : 316.

ونزلتُ مِنه على الطبيعةِ منزلاً ... ألفيتني فيه على جمرِ الغَضا
متجانياً عن خيرِ مَن أبغضتُهُ ... ولشَرِّ مَن أحببتُهُ مُتعرّضا
ومدحتُ مَن لا يستحقُّ وراقَ لي ... تكفِيرَتي بهجائِهِ عمَّا مضى
ووجدتني مُستصعِبا إطراءَ من ... أطريتُه بالأمسِ طَوعاً ريّضا[1]
نافقتُ إذا كان النفاقُ ضريبةً ... متحرّقاً مِن صنعتي مُترمِّضا
ولكم قلِقتُ مُسَّهداً لمواقف ... حكَمتْ عليَّ بأنْ أُداري مبغِضا
وأعادتِ الذِكرى إليّ أليمةً ... لمّا انبريتُ بِجمعها مستعرِضا
فهنا التي أطريتُ فيها خُلَّباً ... كذِباً خُدِعتُ بِبِشرِه إذْ أومَضا[2]

ومن يتتبع قصائد الشاعر محمد مهدي الجواهري التي نظمت في مرحلة (الثلاثينات) يجد فيها نبرة العنف وغلظة القول وقسوة العبارة، كما في قصيدته (عقابيل داء)[3](1934) داء)[3](1934) و(ثورة النفس)[4] (1934) و(لعبة التجارب)[5](1934) و(حالنا اليوم)[6](1935) و(تحرك اللحد)[7] (1936) و(في السجن)[8](1936) و(إلى الشباب السوري)[9](1938) وبقى الجواهري ثابتا على مواقفه حتى عام (1939) حيث لقي (غازي) (غازي) مصرعه، إثر حادث أثيرت حوله العديد من علامات الاستفهام[10] اتهم الجواهري الجواهري كلا من(رشيد عالي الكيلاني) و(نوري السعيد) بتدبير الحادثة[11] وقيل إنّ الانكليز هم من دبروا له ذلك، لأنّه خالفهم وأراد إلحاق الكويت بالعراق[12]، وقيل غير

---

(1) الريض: الطيع.
(2) الأعمال الكاملة: 2 : 336.
(3) الأعمال الكاملة: 2 : 321.
(4) الأعمال الكاملة: 2 : 326.
(5) الأعمال الكاملة: 2 : 329.
(6) الأعمال الكاملة: 2 : 340.
(7) الأعمال الكاملة: 2 : 361.
(8) الأعمال الكاملة: 2 : 365.
(9) الأعمال الكاملة: 2 : 369.
(10) ينظر: سليمان فيضي ودوره السياسي والثقافي والاجتماعي: 170. للمزيد من الاطلاع عن الملك غازي راجع: الملك غازي ودوره في سياسة العراق في المجالين الداخلي والخارجي: جعفر فرج: 1933 -1939: بغداد،1987.
(11) ينظر: مذكراتي: 1 : 296 ،299. وينظر: تاريخ العنف الدموي: 300.
(12) ينظر: الرسالة العراقية: 164.
((الانكليز هم الذين قتلوا (فيصل الأول) وهم الذين قتلوا (غازي) وأنّ الغلام والعبد اللذين كانا في السيارة، لم يعلم أين هما، وتمهيدا للفتك بغازي أوعز إلى أحد المنجمين، بأنّ البراق سيسقط)) ينظر: نفسه.
وقيل أنّ السفير البريطاني (بيتر سون) كان يقول: ((إنّ الملك غازي يجب أن يسيطر عليه أو يخلع، ولهذا أن خبر وفاته أحدث ارتياحا في لندن وترحيبا بالوصي الجديد)) العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب: نجدت فتحي صفوت: 209 صيدا: المكتبة العصرية-1969. وينظر: الحرب العراقية البريطانية: 1941 : محمود الدرة: 101 ، بيروت دار الطليعة: 1969.

ذلك. ومهما يكن من قول، فان الجواهري قد امتنع عن رثاء الملك (غازي) رغمّ أنّه نشر أبياتا من قصيدة وعد بإتمامها ثم طواها[1]، ومما جاء فيها قوله:

خبـــرٌ ولـــيس كسائـــرِ الأخبـــارِ حَصـــبَ البـــلادَ بمـــارجٍ مـــن نـــارِ
فَلَـوتْ لـــه الـــصِيدُ الأماجـدُ هامهـا حزنـــاً لِفقـــدِ زعيمِهـــا المُختـــار[2].

رحلة الجواهري مع الوصي(عبد الإله)

بعد مصرع الملك (غازي) اختير (عبد الإلـه)[3] وصيا على العرش سنة: (1939) بـأمر مـن الانكليـز، لأنـه كـان يخـدم مصـالحهم[4]. وعنـد اشـتداد الصـراع بـين بريطانيـا والوطنيين من الضباط الأحرار، قامت ثورة (رشيد عالي الكيلاني) ، وفرّ (الوصـي) إلـى شرق الأردن[5]، ولكن الانكليز هجموا على العراق، واحتلوه ثانية، ونصّبوا (عبدالإلـه) وصيا على العراق، ولم يحاول الوصي في أوائل حكمه، أن يؤدي دورا فعالا في سياسة العراق؛ لقلة خبرته وحداثته في الإدارة السياسية[6]، ولكن بعد فشل ثورة (مايس) انتقم من خصومه، وظل بشكل فعال، يوجه السياسة العراقية حتى مصرعه[7].وقد أنكرت عليه الأحزاب تصرفاته، بوضع العراق تحت الاحتلال المباشر للانكليز[8]، كما حملته مسؤولية مسؤولية إسقاط حكومة (السويدي) الوطنية للمجيء بحكومة (أرشد العمري) ، المؤسسة للقمع والاضطهاد، ونشر الرعب والإرهاب، بين الناس[9]، وفي الوقت نفسه طالبت تلك الأحـزاب (الوصـي) بالقيـام بالإصـلاحات العاجلـة؛ لتـدارك الأوضـاع المتردية، حيث الاستئثار بالسلطة، وانتشار الجهل وسطوة الإقطاع، والفقر، والمرض، وثراء الوزراء،

(1) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 35. وينظر: تاريخ العنف الدموي في العراق: 300.
(2) الأعمال الكاملة: 2 : 377. ونشرت في جريدة(الرأي العام) العدد(181)في(8) نيسان: 1939.
(3) ولد(عبد الإله) في الطائف في(24)تشرين الثاني(نوفمبر)، (1913) وجاء مع والده إلى بغداد، أوائل سنة(1926)، ثم مضى للدراسة في القدس، فالإسكندرية، ثم عين ملحقا بالمفوضية العراقية في(برلين) لمدة قصيرة(1936-1937) وفي عام(1939) أصبح وصيا على عرش العراق.
(4) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 65. وينظر: مذكراتي: 1 : 297.
(5) ينظر: الرسالة العراقية: 166 ،167. وينظر: التطورات السياسية في العراق: 68.
(6) ينظر: مذكراتي في العراق: ساطع الحصري: 2 : 593، بيروت دار الطليعة: 1968. وتنظر: جريدة الزمان (العدد) 530 (1)أيار 1939.
(7) ينظر: تأريخ الحزب الوطني الديمقراطي: فاضل حسين: 125. وينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 65. 65.
(8) قضايا ملتهبة في السياسة العراقية: 46 ،55.
(9) العراق أمسه وغده: خليل كنه: 77. وينظر: مذكراتي: نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العراقية العراقية : 445-446.

وأصحاب المناصب، كما طالبته بإلغاء معاهدة عام: (1930)، التي قيدت استقلال العراق وسيادته[1] محذرين الوصي - في الوقت نفسه - إن لم يقم بما هو مطلوب منه، فإنّ النتائج ستكون وخيمة، لأنّ الأسباب التي أدت إلى اندلاع الثورة في (مصر)، هي نفسها التي سوف تؤدي إلى اندلاعها في العراق[2]. وردّ الوصي على تلك المطالبات، بأنّ ما في العراق من فساد وانحرافات، إنما هي بسبب أفعالكم الشنيعة[3]، وقد وصف (عبد الإله) في نظر أغلب المؤرخين نتيجة تصرفاته تلك((بأنّه أنانيّ في طبعه ومسلكه، لا تهمه مصلحة البلاد، بقدر ما يستطيع من جني المكاسب والأرباح، التي يحاول الحصول عليها لنفسه، أو لعائلته.))[4] غير أنّ للجواهري رأيا آخر، حيث يقول: ((بإنصاف أقول:كان(عبد الإله) من القلائل الذين يعتزون بكرامتهم، وكان يعتبر أنّه أمير بحق، ويجب أن يمارس دوره في الإمارة. كان أميرا صلبا، وكان يعرف أنّ الانكليز يريدون مقاسمته السلطة في بلاده. وهناك حقيقة سيكشفها المستقبل، وهي أنّ الانكليز هم أول من عمدوا على إزاحة (عبد الإله) ؛ لأنه، كما قلت، كان عنيدا وقويا وذا كرامة، ولا ينسى أنّه أمير ابن الملك (علي بن الحسين) ...))[5]، ومهما اختلفت الآراء فيه، فإنّ الجواهري قد نال نصيبه من حكومة(العمري) القمعية، حيث أغلقت جريدته:(الرأي العام) مع صحف أخرى، يقول الجواهري: ((إنّ المرة الأولى التي وضعت فيها قدمي في (البلاط) في عهد (عبد الإله) جاءت أيام (مصطفى العمري)، أيام تحكّمه وجماعته في الصحافة والصحف.. ولم يكن لي ملجأ غير ذلك الملاذ...فذهبت إليه، فرحب بي الرجل وأكرمني، وبدقائق معدودة قلت له ما قلت عن الموضوع.....وبعد ذلك صدر الأمر بأن تواصل الجريدة الصدور.))[6] على الرغم من أن معرفة الشاعر بالوصي قديمة ترجع إلى أيام تعيينه في البلاط، إلا أنّ هذا اللقاء كان مفتاحا سريا، قد فتح لآفاق واسعة من العلاقة بين الرجلين، برغم ما شابها فيما بعد من توتر، ثم فتور وجمود. (فعبد الإله) يريد رعاية الشاعر منذ أيامه الأولى كما فعل (عمّه) من قبل؛ ليجعل منه شاعر البلاط ثانية، والشاعر ربما اتعظ بما أصابه من شظف العيش بإقصائه عن البلاط، ثم هو فوق ذلك يحمل طموحا كطموح

(1) ينظر: قضايا ملتهبة في السياسة العراقية: 35 ،41 ،59.
(2) تنظر: جريدة العصبة، (العدد)47 ،1 حزيران 1946. وينظر: ربع قرن من تأريخ الحركة النقابية في العراق: طالب عبد الجبار: 33 بغداد: مطبعة النجوم: 1960.
(3) ينظر: قضايا ملتهبة في السياسة العراقية: 55.
(4) سقوط النظام الملكي في العراق: فاضل حسين: 29،معهد البحوث والدراسات العربية،1974.
(5) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 67.
(6) مذكراتي: 1 : 443، يقول الجواهري: ((فإنّي لم ألتق به إلّا في عام (1946) وبصدد احتجاجي على غلق جريدتي(الرأي العام)) المصدر نفسه: 1 : 293.

سلفه (المتنبي)، فالمصلحة مشتركة إذا بين الرجلين، مدح الوصي، لقاء كرسي البرلمان[1] كما سيأتي. وكان الجواهري يترقب ما ستؤول إليه الأمور، لذا من يتتبع قصائده في (الأربعينات) لا سيما بعد عودة صحيفته إلى الصدور، يجد نبرة هادئة لا مساس فيها بالسلطة باستثناء قصيدة (طرطرا) التي جاءت كرد فعل سريع على إغلاق صحيفته، فهو في ذلك كمن يراجع مسيرته تحسبا للمستقبل، مستعينا برجال الفكر والثورة، مستلهما منهم العبر والعظات لمسيرته القادمة، كيما يستطيع السير على ما ساروا عليه، ونجد ذلك جليا في قصائده:(أجب أيها القلب)[2] و(إلى الرصافي)[3] و(أبو العلاء المعري)[4] و(أحييك و(أحييك طه)[5] و(جمال الدين الأفغاني)[6] و(ذكرى أبو التمن) [7] و(عمر الفاخوري)[8] الفاخوري)[8] و(آمنت بالحسين)[9]، كما تطرق إلى موضوعات تتفق في أبعادها مع السياسة الملكية، التي كانت تعادي ألمانيا النازية آنذاك، مما دفع الجواهري إلى أن يكثر من قصائده السياسية التي تمدح (الحلفاء) ضد دول (المحور) منتصرا - في الوقت نفسه – للفكر (الاشتراكي)الذي يدين به، ونجد ذلك بوضوح في قصيدة (سواستبول)[10] و(أمم تجد ونلعب)[11] و(ستالينغراد)[12] و(يوم الجيش الأحمر)[13].

وبدأ الجواهري يقترب شيئا فشيئا من السلطة، كمن يقدم خطوة ويؤخر أخرى، ففي عام (1946) وجهت له دعوة من (البلاط) لحضور حفل غنائي لـ (أم كلثوم) ولبّى الدعوة على عجل، ليجد نفسه على مبعدة أمتار عن حكومة (الرئاسة) و(السفراء) وبينهم (عبد الإله) و(نوري السعيد) ، وقد طلبا منه قصيدة بالمناسبة، فاعتذر بأدب، بأنّ المقام لا يناسب الشعر[14]. وبعد انتهاء الحفل، شعر الجواهري بأن الأمور عادت إلى مجاريها،

(1) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 66.
(2) الأعمال الكاملة: 3 : 392.
(3) الأعمال الكاملة: 3 : 418.
(4) الأعمال الكاملة: 3 : 421.
(5) الأعمال الكاملة: 3 : 427.
(6) الأعمال الكاملة: 3 : 429.
(7) الأعمال الكاملة: 3 : 477.
(8) الأعمال الكاملة: 3 : 462.
(9) الأعمال الكاملة: 3 : 491.
(10) الأعمال الكاملة: 3 : 399.
(11) الأعمال الكاملة: 3 : 400.
(12) الأعمال الكاملة: 3 : 404.
(13) الأعمال الكاملة: 3 : 408.
(14) ينظر: مذكراتي: 1 : 445.
يقول الجواهري: ((كنت ثملا، وإذا بالشيخ (موحان خير الله) يقول لي (نوري باشا) يطلبك قلت لا تهتم، رفعت نظري فوجدته يومئ لي ثانية إيماءة لطيفة وتغافلت عنها أيضا، فبالإيماءة الثالثة كان (عبد الإله) يشاركه فيها، وعندها وجدت أن ما يسمى باللياقة والأدب تتطلبان مني الاستجابة.. فوقفت إلى

فقصد (البلاط) لملاقاة (الوصي) طالبا منه ترشيحه للنيابة، غير أنه أبلغ بأنّ(نوري السعيد) قد رشحّه سكرتيرا خاصا للوصي (عبد الإلـه) ، فرفض الجواهري ذلك، مصرّا على أن يكون عضوا في (المجلس النيابي)، واستجاب له (الوصي) بعد أن دعاه إلى قصره الخاص (الرحاب)، واتفقا على أن يكون الجواهري مرشح الوصي على (كربلاء)، ونتيجة ملابسات سآتي على ذكرها انسحب الجواهري من الترشيح[1]، ودب الفتور بين الرجلين من جديد، ولعدم تحقيق الوصي ما كان يصبو إليه الجواهري، فقد رفض دعوته في مناسبة (عيد الميلاد). يقول الجواهري:((وجهت إليّ دعوة من البلاط..لبست بدلة رسمية استعرتها من صديقي (عبد الجبار الجلبي) وتهيأت، ثم استنكفت وأقسمت أن لا اذهب. رنّ جرس التلفون، وإذ بـ (صادق البصام) يتحدث من قصر الرحاب، يلح عليّ بالحضور، ناقلا لي كلمات (عبد الإله) ، من أنّ المائدة لن تفتح إلا بحضوري...قلت:أتريدني أن أقول لك لن آتي!!))[2]. وقد عاتبه (عبد الإلـه) فيما بعد معنّفا إياه بقولـه:((يعني إيش يصير إذا تأخرت النيابة شهرين أو ثلاثة؟...قلت له: ((يا سمو الأمير لا تزعل لك الحق، لربما أكون قد أخطأت))[3] ، في أثناء وجوده في(لندن) أخبره (صادق البصام) بوفاة (عبد الرزاق شمسة)، وفراغ المقعد النيابي عن محافظة (كربلاء) و(النجف) ودعوته لي وعلى لسان (عبد الإله)، إلى أن أكون في مكانه[4] وبعد عودته أصبح نائبا على (كربلاء) بالتزكية، وخلال ساعة واحدة. وكان لا بد من رد الجميل إلى صاحب الجميل، وقد استغل زيارة رئيس جمهورية لبنان (بشارة الخوري) إلى بغداد عام (1947) ؛ ليتخذ منها مدخلا لمدح (عبد الإله) في قصيدة (ناغيت لبنان)، وفيها يقول:

"عبد الإلـه" وليس عاباً أنْ أرى ... عِظَمَ المقامِ مُطوّلا فأطيلا
كرّمت ضيفَك يستشيرُ جلالَه ... نُطقاً، ويدفعُ قائلاً لِيقولا
يا ابنَ الذين تنزّلتْ ببيوتِهم ... سُورُ الكتابِ، فرُتِّلتْ ترتيلا
الحاملين مِن الأمانةِ ثُقلَها ... لا مُصعِرينَ ولا أصاغِرَ مِيلا
والناصبين بيوتَهم، وقبورهم ... للسائلين عن الكرامِ دليلا
والطامسينَ من الجهالةِ غَيْهَباً ... والمُطْلِعين من النُّهى قِنديلا
ملكوا البلادَ عروشَها وقصورَها ... واستعذبوا وَعثَ التراب مقيلا[5]

جانبهم وبادرني (نوري السعيد) قائلا: كيف حالك يا جواهري؟ أجبت فوق النخل فوق، وكما حدست، قال: ((ألا يوجد شيء، وهنا التفت إليّ (عبد الإلـه) وأكمل: ((إي صحيح، يا جواهري، ألا يوجد شيء؟)) كنت هيأت جوابا يجمع بين الأدب والرفض. قلت آسف، كيف ارتجل الشعر في هذا المقام: نفسه.

(1) ينظر: مذكراتي: 1 : 454.
(2) المصدر نفسه: 1 : 456.
(3) المصدر نفسه: 1 : 457.
(4) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 458.
(5) الأعمال الكاملة: 1 : 497 ، والديوان: 3: 245.

ومن غريب القول ما يذكره الدكتور:(الاعرجي)، من أن الشاعر لم يقصد مدح (عبد الإله)، إذ إنّه كلما تقرب إلى مدحه هرب إلى مديح (أهل البيت) وأنّ مفهوم المخالفة - كما يقول أهل المنطق- يعني أنّ (عبد الإله) ليس فيه من جلال يستثيره؛ فيقول فيه. أما قول الشاعر فيه، أن قاد (السفينة حين شق مقادها)، فان ذلك لم يكن منه إلا انسجاما مع إعجابه بانتصارات (الاتحاد السوفييتي) على النازية، فقد كان عبد الإله -والحرب الثانية في عنفوانها- هو الذي استطاع أن يقضي على حركة (رشيد عالي الكيلاني)، ويعضد (الاعرجي) حجته أن الجواهري قد استخدم صيغ الأمر مع (عبد الإله) وأنّ نبرة الأمر نابعة من إحساسه بالندية[1]، كما في قوله:

قُـــلْ لأولاءِ الـــذين استـــأثَروا بالملـــذّاتِ وبالحُـــكُم ارتجـــالا
قـــلْ لهـــم لســـتُم رِفاقـــي فانفـــروا إنّ هـــذا الشـــعب لا يبغـــي محـــالا[2]

أما قول الدكتور:(الاعرجي) بأنّ الأمر يدل على الندّية في القصيدة، فهو قول فيه نظر، لأنّ القرائن تدل على غير ذلك، ولعل أهمها أن الأمر إذا كان الخطاب فيه من الأدنى إلى الأعلى، فإنّه يدل على الدعاء لا الطلب، ومن المعلوم بالضرورة أن مقام المادح أقل منزلة من الممدوح، وهو ما يخرج الأمر من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي، ثم أنّ القصيدة نظمت عقيب إسناد (الوصي) مقعد المجلس النيابي للشاعر، فكانت القصيدة ثمنا لما قبضه الشاعر، ومن ثَمّ أن الوقائع التاريخية تذكر أن الرجلين في المرحلة تلك تحديدا، كانا على وفاق تام، بلغ مرحلة أن يطلع (الوصي) الشاعر في (لندن) على مسودة اتفاقية (بورتسموث) قبل أن يطلع عليها أحد من رجالات الدولة، ثم أن الممدوح لم يكن على درجة من الغباء، بأنْ يخلع أغلى وسام ملكي على شاعر يتهرب من مدحه. يذكر الجواهري في مذكراته((أنّ عبد الإله انتزع من عنق رئيس الديوان الملكي آنذاك (تحسين قدوري) وسام الرافدين المذهّب ليخلعه عليّ.))[3] ويعلق د.(جليل عطية) على تلك القصيدة قائلا: ((فلقد عرج فيها إلى الأمير (عبد الإله) والأسرة الهاشمية، وقال فيها ما لم يقله (العكوك) في الأمير أبي دلف العجلي))[4] أما قول الدكتور (الاعرجي) أن (عبد الإله) ليس فيه من جلال يستثيره؛ فيقول فيه. وهو قول لا نراه أيضا؛ لأنه اجتزأ القصيدة فأورد منها أبياتا وأهمل أخرى؛ لأنها محتوية على مديح صريح وفصيح بحق (الوصي) حيث يقول:

يـــا ابـــنَ النبـــيّ وللمُلـــوكِ رسالـــةٌ مَـــن حقَّهـــا بالعـــدلِ كـــان رسُـــولا
يَرجـــو العـــراقُ بظِـــلِّ رايـــةِ فيصـــلٍ أنْ يرتَـــقي بكمـــا الـــذُّرَى ويطُـــولا
لا شـــكَّ أنَّ وديعـــةً مرمـــوقـــةً عَـــزَّ الكفيـــلُ لـــها فكُنـــتَ كفيـــلا
ألقـــتْ عـــلى كـــتِفَيك مِـــن زَحَمَاتِهـــا عبئـــاً تنـــوءُ بـــه الرِّجـــالُ ثَقيـــلا

(1) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 172 ، 173.
(2) نفسه.
(3) مذكراتي: 1 : 479.
(4) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 68.

شـــدَّتْ عُروقَـــك مـــن كـــرائمِ هاشـــمٍ ... بيـــضٌ نَمَـــيْن خديجـــةً وبتـــولا
وحنَـــتْ عليـــك مِـــن الجُـــدودِ ذؤابـــةٌ ... رعَـــتِ الحســـينَ، وجعـــفراً وعقيـــلا
إنّ العراقَ يُجَلُّ بيعةَ هاشـمٍ ... من عهدِ جدّك بالقرُون الأولى [1]

وليس هذا حسب، وإنما ذهب الجواهري إلى أبعد من ذلك في إطراء(عبد الإلـه) فقد مدحه يوم انتهاء وصايته، وتسليمه السلطات الدستورية إلى الملك (فيصل الثاني) في (2) أيار(مايو)1953 فقال:

عبـد الإلـهِ وفـي المكـارمِ شِركـةٌ ... شاركـتَ فـي خِصـلِ المليـكِ الأوحـد
يـا ابـنَ الهواشـمِ حـرّة عـن حـرّةٍ ... وابـنَ الـخلائفِ أصـيداً عـن أصـيد
عشـرٌ وخمـسٌ أيّـداتٌ أختهـا ... بمـراسِ مرهـوبِ الشكيـمَة أيّـد
للهِ بأسُـك إذ تُعـالـجُ بأسَهَـا ... لا بالكليـلِ شبَـا ولا بمزنـد
وإذا الخطـوبُ تهـمّ مـنك لغفـلةٍ ... فتحيـدعن ذي مـرّة مستحصـد
إنْ تـدج غاشـيةٌ تـشعّ وإنْ يـ ... ـحبـلٌ تشـدّ وإنْ تحـارب تصمـد [2]

فكما مدح الجواهري (عبد الإلـه) في مواقف معينـة، فقد ذمّـه في مواقف أخرى ((لأنّ العلاقة بين الشاعر والأمير عبد الإلـه تراوحت بين الدفء والبرود والجفاء حسب الوضع السياسي ومزاج الشاعر.))[3] على الرغم من اعترافه بأنّه (وطني)، غير أنّ ذلك لـم يكـن ليشـفع لـه عنـد الجـواهري، فقد ذم الجـواهري (الوصـي) وحكومتـه فـي قصـيدته: (طرطـرا)، يـوم أن تعـاون (مصـطفى العمـري) وشـريكه (صـالح جبـر) علـى إغـلاق جريدته[4]، فضلا عن أسباب سلبية أخرى، آلمت الشاعر، كالتزلف للمسؤولين والتكبر علـى البسـطاء والفقـراء، والـركض وراء الألقـاب، وشـراء المناصـب، وبيـع الضـمائر، لاسيما تلك التي فعلها (صالح جبر) بأنْ تزوج على زوجته الأولى ابنة أحد شيوخ الإقطـاع، لمآرب أخرى بعيدة عن القيم والأعراف [5]. فنتيجة كل تلك الأسباب، قال الجواهري:

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 497.
(2) الأبيات منقولة من كتاب (الجواهري شاعر من القرن العشرين): 67، لأني لم اعثر عليها في أعمالـه. أعمالـه. ويـذكر الـدكتور(جليـل عطيـة) : ((كـأن الجـواهري الـذي عـاش وعـايش مـا حـل فـي العـراق والعراقيين، منذ انتهاء الحقبة الملكية في تموز (يوليو) 1958 شعر أنـه لـم يـف الأسـرة الهاشمية حقها، فأعاد النظر في لاميته المحجلة وألقاها بين يدي (الملك حسين) فقال:

يـا سيـدي أسـعفْ فمـيَ لـيقولا ... فـي عيـدِ مولـدِك الجميـلِ جـميلا
يـا أيّهـا الملـكُ الأجـلُّ مكانـةً ... بـين الملـوك ويـا أعـزُّ قبيـلا
يـا ابـنَ "الهواشـم" مـن قـريشٍ أسلفوا ... جيلاً بمدرجةِ الفَخـار فَجيلا

ينظر الأعمال الكاملة: 7 : 1116.
(3) الجواهري شاعر من القرن العشرين: 67.
(4) ينظر: مذكراتي: 1 : 433.
(5) المصدر نفسه والصفحة.

أي طرطـــــــرا تطرطـــــــري ... تقدَّمـــــــي تـأخـــــــرّي
تشيّعـــــــي تسنّنـــــــي ... تهـــــــوّدي تنصّـــــــري
تكـــــــردّي تعـرَّبـــــــي ... تهاتـــــــري بالعُنصـــــــر
وأنـــــــتِ إنْ لـــــــم تجـــــــدي ... أبـــــــاً حميـــــــدَ الأثـــــــر
ومَفخـــــــراً مـــــــن الجـــــــدو ... دِ طيّـــــــبَ المُنحَـــــــدر
ولـــم تَـــرَيْ فـــي الـــنفْسِ مـــا ... يُغنيـــــــك أنْ تفتَخـــــــري
تـزَيّـــــــدي تـزَبَّـــــــدي ... تعَـــــــنَّزي تشمَّـــــــري
لِمَـــــــن؟ !! أللنـــــــاس!! وهـــــــم ... حثالـــــــةٌ فـــــــي سَقَـــــــر
عبيـــــــدُ أجْـــــــدادِك مـــــــن ... رِقٍّ ومِـــــــن مُستأجـــــــر
لمـــــــن؟!! أللتأريـــــــخ؟!!وهـــــــ ... ـــــــو فـــــــي يـــــــدِ المُحَبّـــــــر
مُسخَّـــــــرٌ طَـــــــوعَ بنـــــــانِ ... الحاكـــــــمِ والمُسْـــــــتَحر
بدِرهَـــــــمٍ ثُقَلِّـــــــبُ الـــــــ ... ـــــــحـــــــالَ يـــــــدُ المُحَـــــــرّر
إنَّ أخـــــــا طَرْطَـــــــرَ مِـــــــن ... كـــــــلِّ المَقاييـــــــس بَـــــــرِي
أي طرطـــــــرا تطرطـــــــري ... وهلّلـــــــي وكبّـــــــري
وطبّلـــــــي لكـــــــلِّ مـــــــا ... يُخـــــــزي الفَتـــــــى وزمِّـــــــري
والبســـــــي الغبـــــــيَّ والأ ... حمـــــــقَ ثـــــــوبَ عبقـــــــري
وأَفْرِغـــــــي علـــــــى المخـــــــا ... نيـــــــثِ دروعَ عنتـــــــر
إنْ قيـــــــلَ إنَّ مَجدَهُـــــــم ... مُزيَّـــــــفٌ فأنكـــــــري
أو قيـــــــلَ إنّ بَطشَهـــــــم ... مـــــــن بطشـــــــةِ المستعمـــــــر
وإنَّ هـــــــذا المستعيـــــــ ... ـــــــر صولـــــــة الغضنفـــــــر
أهـــــــونُ مِـــــــن ذُبابـــــــةٍ ... فـــــــي مُسْتحـــــــمٍّ قـــــــذِر
فهـــــــي تطيـــــــرُ حُـــــــرَةً ... جناحُهـــــــا لـــــــم يُعَـــــــر
وذاك لو لم يستعِرْ ... جناحَه لمْ يطرِ[1]

يقول الدجيلي: ((إنّ هذه القصيدة بالذات ستبقى خالدة خلود تاريخ العراق السياسي الذي مر، إذ هي سجل صادق وحافل بكل ما عليه العهد الملكي من أخطاء وعيوب. ومن سوء الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد حفظها الشعب العراقي حتى أصبحت مضرب الأمثال))[2] .ويقول الجواهري:((وقد تهافت باعة الجرائد على مقر(الرأي العام) تهافتا وصل إلى حد اضطرار حرس المطبعة لغلق أبوابها...ولشدة الإقبال بيعت بعض النسخ منها بدينار، أي بألف فلس بدلا من عشرة))[3] ولم تكن القصيدة مقصورة في هجائها على شخصية(العمري) و(جبر) واتباعهما وإنما كان يقصد بها الجميع، بما فيهم(عبد الإله) يقول الجواهري:((إنّ قصيدة (طرطرا) تضرب الصميم من الوضع القائم

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 439.
(2) الجواهري شاعر العربية: 50.
(3) مذكراتي: 1 : 436.

في العراق، و(عبد الإلـه) هو في الصميم منها، في القمة من هذا كله))[1] ولشدة وقع القصيدة على نفس(عبد الإلـه) كان يدّعي، بأنّه ليس ضمن دائرة من هجاهم الجواهري، وإنما المشكلة بين الجواهري والوزراء[2]، ولعل هذه القصيدة قد تكون أحد الأسباب الدافعة الدافعة للوصي إلى ترشيح الجواهري للمجلس النيابي، بهدف إسكاته واتقاء شره، وفي الوقت نفسه كان الوصي من أشد المعجبين بالقصيدة يقول الجواهري:((وهو أن تلك القصيدة بما خلفته من خلفيات مريرة لدى كل الحاكمين، والمسؤولين وليس للعمري وصالح جبر حسب كانت إلى جانب ذلك، بل ومن قبيل التناقضات، مَدعاة إعجاب واستحسان تجاوزا حدودهما المألوفة من قبل(عبد الإله) لتوافقها مع ما كان يحمله في طيات نفسه من استخفاف وازدراء بالأكثرية الساحقة من هؤلاء المسؤولين. وفهمت بعدها، انه شغف بالقصيدة بحيث كان العدد الذي يحتويها لا يفارقه، حتى وهو في سفراته، وكان إذا تنازع مع ساسته، يقول لهم: أتسكتون أم أجئ لكم بطرطرا))[3] .

والحقيقة التي يمكن قولها أنّ عنوان القصيدة وحده، يصلح أن يكون قصيدة متكاملة، لما يختزله من مضامين معبرة عن حقيقة الواقع المعاش. يقول الدكتور (السامرائي) ((إنّ كلمة (طرطرا) هذه فصحها الشاعر، وهي من عامية العراقيين، تعني ما هو مضطرب، سيئ بعيد عن السمت المعروف في الهيئة والنظم.))[4]وهذا الذي حدث، حدث، وذلك بعد انتصار القوى الوطنية على الفاشية، انتقل الحكم إلى يد عميل حوّل أرض العراق وسماءه إلى جحيم، فأصبح الواقع (طرطرا)، والجمهور فهم تلك المفارقة، فبدلا من أن تكلل جهود الوطنيين، إلى تأسيس دولة، يحكمها العدل والإنصاف، تحوّل العراق وبشكل مفاجئ إلى دولة شبه إقطاعية، شبه رأسمالية. فغدا الواقع التأريخي (طرطرة) بالغة القسوة ليس لفاجعتها وقسوتها حد. ومن ثم...كانت هذه القصيدة في طرطرتها.[5]

واستمر الجواهري-كما هو دأبه- يشن الحملة تلو الحملة على رمز العراق، لا سيما بعد استشهاد أخيه (جعفر) فقد تحول بكله إلى مصاف الشعب، لقد أدرك الجواهري خطأ معادلته السابقة، التي كانت قائمة على إرضاء(البلاط) والشعب معا[6]، لذا نجد أن قصائد قصائد العقد (الخمسيني) تمتاز بقسوة الهجوم على رموز السلطة باستثناء قصيدة يوم تتويج الملك (فيصل الثاني) عام:(1953) وبناء على ذلك أن (عبد الإلـه)يدخل ضمن عموم قصائد الجواهري الهجائية في تلك المرحلة، على وفق القاعدة القائلة: إنّ العموم يؤخذ

---

(1) نفسه: 1 : 435.
(2) ينظر: نفسه: 1 : 448.
(3) نفسه.
ومن الغريب أن يبعث الوصي في أثناء وجوده في(لندن) أحد مرافقيه إلى العراق ليأتيه بالقصيدة المذكورة: مذكراتي: 1 : 472.
(4) مع الجواهري والحديث ذو شجون: د. إبراهيم السامرائي: 349. في ضمن كتاب(الجواهري وسيمفونية وسيمفونية الرحيل).
(5) ينظر: تطبيقات نقدية : 7.
(6) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 66.

على عمومه، ما لم يقم دليل على تخصيصه، ومن قصائد العموم في حقه (تنويمة الجياع)[1] و(ما تشاءون)[2] و(كما يستكلب الذيب)[3] و(يا أم عوف)[4] و(أطبق دجى)[5]. يقول الجواهري:((وفي هذه الدار نفسها، وتحت الظلال السوداء من ذلك الجو الرهيب كانت قصائدي الثلاث الشهيرات[6] ... ويذكر التاريخ ومن عاشه ما كان لهذه القصائد (الثلاث) من زعزعة للنفوس وإثارة للأعصاب بين الجماهير...فمن يصدق أن تنشر هذه القصائد الثلاث بمثل ما ينشر من أمثالها في جو معاكس ومناقض أيضا...حقا وصدقا لقد كان ذلك هو العهد الغابر وهو النظام الملكي الجائر، كما كنا نتحدث عنه، بل ونلطمه في وجهه))[7]. أما تخصيص الجواهري لعمومه، فنجده في قصيدة: (في مؤتمر المحامين) فبعد أن يتهجم على النظام الملكي يخص (عبد الإله) و(نوري السعيد) بالذّم، كما في قوله:

وخفّت " للندن " تلك اللصو ... صِ تقمَّص ثوبَ الدُجَى العاكر
تحوكُ برغمِ أنُوفِ البلاد ... نسيج الهلاك لها الدامر[8]

يقول الجواهري ((إنّه كان في الأسبوع نفسه الذي كان الأمير (عبد الإله) وحاشيته المقربة، وفي المقدمة منهم (نوري السعيد) قد سافروا إلى (لندن) وقد نشر وأذيع هذا النبأ..))[9]، وقد أقامت الحكومة العراقية الدعوى على الشاعر، وعلى مدير الجريدة المسؤول (عبد الرزاق الشيخلي)، وقد تطوع أكثر من (عشرين) محاميا للدفاع عنهما، وقد أفرجت المحكمة عن الشاعر، والمدير المسؤول، بعد أن حكّمت (ثلاثة) من شعراء العراق في تفسير القصيدة[10]، وظل الجواهري على هذا المنوال في قصائده، حتى يوم سقوط النظام الملكي عام:(1958) وكان المستهدف الأول في قصائده هو (عبد الإله) لأنه كان هو الحاكم الفعلي للبلاد، حتى بعد تتويج (فيصل الثاني) الذي لم يكن يملك من الملكية إلا اسمها، ومن البلاط إلا رسمه.

نوري السعيد

يعد (نوري السعيد) من أكثر الشخصيات السياسية، إثارة في تاريخ العراق الحديث، وذلك لما يتمتع به من خصال، جعلت منه محطّ إعجاب الأنصار والخصوم على السواء، بغض النظر عما قيل بشأنه إن كان عميلا أو لم يكن كذلك.

---

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 610.
(2) الأعمال الكاملة: 4 : 634.
(3) الأعمال الكاملة: 4 : 649.
(4) الأعمال الكاملة: 4 : 664.
(5) الأعمال الكاملة: 4 : 567.
(6) ويقصد: (أطبق دجى) و(تنويمة الجياع) و(وما تشاءون).
(7) مذكراتي: 2 : 70، 71.
(8) الأعمال الكاملة: 4 : 623.
(9) مذكراتي: 2 : 73.
(10) ينظر: نفسه. وينظر: هامش الأعمال الكاملة: 4 : 616.

ولعل تلك الشخصية القوية هي التي أسرت (المس بل)، التي قالت عنه، ((ففي اللحظة التي رأيته فيها...أدركت أننا نواجه طاقة قوية ومرنة، وأنّ علينا إمّا أن نتعاون معه، أو أن ندخل معه في صراع شاق جدا للانتصار عليه.))[1] والظاهر أنّ المسؤولين البريطانيين أصغوا إلى هذه النصيحة، فاستغلوا هذه القوة لصالحهم، فأصبح (نوري السعيد) رجل بريطانيا القوي[2]. فكان شديد الإخلاص للسياسة الاستعمارية، إذ نجد أن الدكتور(فاضل حسين) يتحدث عنه، ويقول: ((ثقته ببريطانيا وقناعته بأنّ سلامة العراق، لا يمكن ضمانها إلا مع حليف قوي وإصراره على هذه السياسة على الرغم من قيام أكثر من دليل على عقم هذه السياسة))[3] وتحدث آخرون عن(نوري السعيد) وماضيه، وكيف أن الانكليز هم الذين صنعوا منه ذلك السياسي البارز، ومن أجل ذلك ظل وفيا لهم طوال عمره، وربط مصيره بمصير بريطانيا[4]. ووصفه آخرون بأنّه كان انكليزيا أكثر من الانكليز أنفسهم[5]. فهو قد نسي مصلحة البلاد، وحقوق الجماهير، مما جعله يستهين بالشعب[6]، فكان استبداديا قضى خلال مدة حكمه على كل نشاط سياسي[7]. فيعزا إليه كل ما أصاب العراق، من أضرار في عقده لمعاهداته، وأنّه كان وراء وفاة الملك (فيصل) ومقتل (غازي) كما مرّ، كما أنّه حرّض على إعدام قادة حركة (مايس)، وأنّه كان مع السياسة البريطانية، التي تحالفت مع(الشيوعيين) في أثناء الحرب العالمية لمحاربة كل ما يمت الى العروبة، ونسب إليه علمه في المخططات الأمريكية والانكليزية لإقامة (إسرائيل) سنة (1948)، واتهم بأنه كان وراء عدم قيام الدولة العربية الفلسطينية[8]، وأنّه كان على علم مسبق بالعدوان الثلاثي على مصر[9]. ونتيجة لتلك الخدمات الجليلة التي أسداها لهم (نوري السعيد)كانت شهادة (المس بل) القائلة:((إني لا أحب أحدا من بين جميع العراقيين- من الملك فنازلا - مثلما أحبّ نوري..فهو قادر أن يفهم من نصف كلمة..أنّ ثقته المطلقة باستقامتنا وحكمتنا تجعلني أحمر خجلا على الدوام))[10].

إنّ الحقيقة التي لا يمكن إغفالها أن (نوري السعيد)، كان ينفّذ كل ما يسند إليه بدقة متناهية، سواء كان في رأس الوزارة أو لم يكن، وهذا ما يفسر سر ديمومته وبقائه في السلطة وبشكل فعّال، منذ تأسيس المملكة حتى سقوطها.

---

(1) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 6 : 39.
(2) ينظر: التطورات السياسية في العراق: 638.
(3) سقوط النظام الملكي في العراق: 38.
(4) ينظر: ماذا جرى في الشرق الأوسط: ناصر الدين النشاشيبي: 23 ،المكتب التجاري،بيروت،1961.
(5) ينظر: الانحراف القومي في العراق: عدنان الراوي: 71 ، القاهرة،1958.
(6) ينظر: عدنان الراوي حياته وشعره: 21.
(7) ينظر: مذكراتي: 2 : 164.
(8) ينظر: الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين وعبد الوهاب الشواف وضباط الموصل الوحدويين: خليل إبراهيم حسين: 54 ، دار الحرية للطباعة بغداد 1988.
(9) ينظر: ميثاق بغداد، حقائق يبسطها مجلس العموم البريطاني: 155 ، ترجمة حسن الدجيلي، مطبعة الرابطة بغداد1956.
(10) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 6 : 179.

يقول ولدمار غلمن: ((إنّ وفاته كانت خسارة لم يقدرها الغرب))[1]ولا نجافي الحقيقة الحقيقة اذا قلنا بأنّ (نوري السعيد) كان عنوانا للظلم والتعسف والعمالة وسجلا مملوءا بالسجون والمعتقلات، واضطهاده لكل فكر حر ومطاردته للأفكار التحررية والوطنية، يعزو الجواهري استبداد (نوري السعيد) إلى طبعه ومزاجه وتدريبه العسكري، في مرحلة الرجولة، والى تجاربه السياسية في العشرينات[2].

رحلة الجواهري مع نوري السعيد

إنّ معرفة الجواهري بـ (نوري السعيد) ترجع إلى أيام وجوده في (البلاط) إلاّ أنها كانت معرفة شكلية، لا تتجاوز إطار العلاقات العامة، ولكن بعد استقالة الجواهري من (البلاط) في بداية (الثلاثينات)، حيث توطدت علاقة الشاعر به بعد أن تنازعه أكثر من طرف؛ ليكون من حصته. إذ كان الصراع على (الجواهري) بين (ياسين الهاشمي) و(نوري السعيد) على أشده، إذ يريده (نوري السعيد) وسيلة لتحقيق مآربه، وتنفيذ سياساته، من خلال صحيفة (الفرات) التي ترأسها الجواهري، ويريده (الهاشمي) إلى جانبه لكونه يرى فيه مصارعا جيدا قادرا على لجم خصومه[3] يقول الجواهري:((التفت إلى(الهاشمي) قائلا وهو يشير بيده إلى (نوري السعيد) (مهدي لا يخدعك) وأردفها بغمزة ذات دلالة، واضطرب (نوري السعيد)، ولم تجد هذه النصيحة الثانية من أشد رجال الدولة قوة وشخصية مدخلا إلى نفسي))[4] وأصبح الجواهري من حصة (نوري السعيد) مسؤولا عن جريدته (الفرات) وأصبح يدخل عليه من دون استئذان، للتداول بشأن أمور الجريدة، ليجد الجواهري نفسه في نهاية المطاف بأنّه أحد المقربين من (نوري السعيد) ومن وزير داخليته(جميل المدفعي) ونتيجة لهذه العلاقة، فقد مدح الجواهري (نوري السعيد) بقصيدتين هما:(الزعيم نوري)[5] و(لتكن حازمة)[6].

وقد أشار الدكتور (إبراهيم السامرائي) إلى إحدى القصيدتين بقوله: ((لم نجد مثلا - ولا أريد الحصر- قصيدة عامرة ذات أداء فني جواهري، مثل تلك التي قيلت في (نوري السعيد)، وقد كان مطلعها عامرا بقوله:

لقد أزمت وأنت بها حفيّ.....

وما زلت اذكر منها قوله:

---

(1) عراق نوري السعيد: ولدمار غلمن: 363. مؤسسة الإنتاج الطباعي، بيروت: 1965.
(2) ينظر: مذكراتي: 2 : 164.
(3) ينظر: مذكراتي: 1 : 245.
(4) المصدر نفسه والصفحة.
يقول الجواهري: ((للتاريخ أقول من هنا بدأ مسعى وضع اليد علي، من هذا، وذلك وبخاصة من (ياسين الهاشمي) و(نوري السعيد) و(عبد المحسن السعدون)، وكانت الرغبة وراء ذلك، إحاطة هذا الشاب الجديد المتحضر بالرعاية، كان(نوري السعيد) أولهم واسبقهم، لكن(الهاشمي) ظل يعطي الشاهد بعد الأخر على أن يكون السباق في ذلك)) مذكراتي: 1 : 203.
(5) الديوان: 259.
(6) الديوان: 210.

ولـــم تلهـــبْ مـــع الأشـــجانِ نـفســـي فتُورِيهـــا لمـــا التهـــب الـــرويّ[1]

وقد قدم لها بقوله ((نظمت هذه القصيدة على إثر تولي (نوري السعيد) مقاليد الحكم عام (1930). وقد أوحاها إليه ما عرف به نوري السعيد الرئيس الجديد من ماضيه الزاهر وتفانيه في خدمة القضية العربية عامة والقطر العراقي بصورة خاصة. وما يتمناه على يديه من تقدم محسوس في قضية البلاد، وتحسن مستمر في موقفها الدقيق))[2]. وقد استنكر كثيرون على الجواهري فعلته تلك، فقد وصفت جريدة العراق بأنّ مدح الجواهري لخائن العراق، يدخل في باب النفاق الشعري[3]، كما استغرب الدكتور: (علي عباس علوان) أن يكون الجواهري مادحا لمن عرف بعدائه لآمال الشعب وحرياته كـ (نوري السعيد)، الذي خصه الشاعر بقصيدتين اشتهرتا في العراق، وينبع هذا النوع من الشعر نتيجة الحالة النفسية المضطربة للشاعر[4]، يعزو (خلدون جاويد) مدائح الجواهري في (نوري السعيد) السعيد) إلى صراعه الداخلي أيضا، والى اغترابه[5]. لم يدم ذلك السقوط الشعري طويلا، فإنّه وكعادته انقلب الجواهري فجأة من صديق حميم لـ (نوري السعيد) إلى عدو لدود، لا سيما بعدما علم بأنّ (نوري السعيد) كان يستغل صحافته لتمرير أهدافه الاستعمارية المشبوهة، فلم يستطع الجواهري أن يوطن نفسه على ذلك، فانقلب في طرفة عين إلى معارض للحكومة، بعد نشره مقال ضد وزارة المعارف بعنوان: ((إن كنت كذوبا فكن ذكورا)) فأغلقت الصحيفة[6]. وازداد الجواهري حنقا على (نوري السعيد) عندما شعر بتخليه عنه في محنته، وبينما يتميز الجواهري غيظا إذ مر به (نوري السعيد) في البلاط مرحبا به، فكان جوابه له الطعن والشتيمة. يذكر الجواهري في مذكراته قائلا: ((قصدت البلاط الملكي، وأنا مثقل بقصة (مزاحم) هذه، لأزور أترابي في دائرة التشريفات، وكنت صاعدا الدرج وكان (نوري) نازلا منه. وشاء سوء حظه، قبل أن يكون من سوء حظي، أن يبادرني في ساعة غضبي وحراجة موقفي، ليقول لي باللغة الدارجة ما معناه بالفصحى:مرحبا يا فلان كيف الحال.

---

(1) مع الجواهري والحديث ذو شجون: 350، ضمن كتاب (الجواهري وسيمفونية الرحيل).
يبدو أن الجواهري قد حذف القصائد التي مدح فيها (نوري السعيد) من ديوانه فيما بعد.
(2) جريدة العراق: العدد(3041) 7 نيسان(1930)، وهي غير منشورة في الديوان.
(3) تنظر: جريدة العراق العدد(3041) 7 نيسان. وينظر الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 227.
(4) تطور الشعر العربي الحديث في العراق: 274.
(5) لماذا هجوت الجواهري: 30.
يقول جاويد: ((يشخص في ذهني الآن وجه صديق والدي (عوني الجميلي)، الذي قرأ لنا مقاطع كثيرة من مدائح الجواهري (لنوري السعيد)...لكنني للأسف لم أجد لها مكانا في ذكرياته.. شاعرنا يحجب ما يشاء بغير حساب،ويثبت ما يحافظ على الاعتبار الشخصي.))المصدر نفسه والصفحة.
(6) ينظر الجواهري صحفيا: 199. وينظر: مذكراتي: 1 : 245 ،246 ،247.
هناك حقيقة أخرى ينبغي ذكرها. وهي أن الجواهري كان في الوقت الذي يمدح فيه الحكومة في جريدته (الفرات) كان يهاجمها في الوقت نفسه بقصائد أخرى مثل (سلمى على المسرح)، وفيها يدعو على الحكومة بالحرق لا سيما (نوري السعيد). مذكراتي: 1 : 250.

فلم يكن الجواب إلا ((....ويسألني الغدار عن الحال! لو كان للخشبة أن تنطق لنطق (نوري السعيد) مثلها وعوضت عن ذلك، نظرة مدهوشة، وفم فاغر))[1] إنّه ذاته الذي يوجه الكلمات الحادة إلى (نوري السعيد): (أيها الغدار)...إنّه فظ مع أعدائه[2]. وعلى الرغم من كل ذلك، فقد صادفه (نوري السعيد) في شارع (أبي نواس) وسلمه (300) روبيه، ووقتها كان الجواهري لا يملك درهما واحدا[3] غير أنّ ذلك لم يسكت الجواهري، حيث صعّد من لهجته، فكتب عدة مقالات، يتهم فيها (نوري السعيد) بمؤامرة تهجير يهود العراق، بهدف تقوية دولة (إسرائيل)[4]، وفي حفلة (أم كلثوم) تغافل الجواهري عن (نوري السعيد) بعدما أومأ إليه أكثر من مرة للمشاركة ولو بأبيات معدودة، ولكنه رفض ما طلب إليه بشكل لائق[5]، كما مر في الفصل السابق في حديثنا عن (علاقة الجواهري بعبد الإله). وفي قصيدة: (في مؤتمر المحامين) يتقصد الجواهري (نوري السعيد) وآخرين فينال منهم، وينعتهم بأنهم ذيول المستعمر ولصوص وفيها يقول:

وأنَّا خُصِصْنا من الخائنين ... بالعددِ الأرذلِ الوافر
تُريكُم يدَ الغاصبِ المُختَفي ... وراءَ يدِ الخائنِ السافر
أقولُ: وقد لاحَ غولُ البلاءِ ... يُفرِجُ عن شَدقه الكاشر
وخفّتْ "للندن" شرّ اللصو ... ص تلبسُ ثوبَ الدُجى العاكر
وراحْتْ تسيلُ بألعابِها ... لُعابَ الأفاعي يدُ الساحر
وذرَّتْ قُرونٌ لِمستعبَدٍ ... بنعرةِ سيّدِهِ ناعر
إلى كمْ تُداري شيوخُ العراقِ ... وأقطابُ مِحوره الدائر
عُجُولاً تربَّى لمستعمرٍ ... ويلعنُ في عِجلِه "السامري"[6]

ويقصد بـ (شر اللصوص) (نوري السعيد)[7]. وفي قصيدة: (ذكرى أبو التمن) عرّى الجواهري الحكام، وقد هرب نوري السعيد من الحفل[8]، وقامت قيامة الحاضرين عندما علموا بأمر إلقاء القبض عليه، ولكنه ألغي نزولا على حب الجماهير للجواهري[9]، وفيها يقول الجواهري:

---

(1) مذكراتي: 1 : 276.
(2) ينظر: لماذا هجوت الجواهري: 12.
(3) ينظر: الجواهري شاعر العربية: 70.
(4) ينظر: مذكراتي: 2 : 79 ،80.
(5) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 442 -445.
(6) الأعمال الكاملة: 4 : 617.
(7) ينظر: الاعمال الكاملة: 3 : 623.(الهامش)
(8) ينظر: لماذا هجوت الجواهري: 69 ،70.
(9) ينظر: مذكراتي: 1 : 422 ،423 ،424.

خمسٌ وعشرونَ انقضَتْ وكأنَّها بشخُوصِها خبرٌ من الأخبار
ضِقْنا بها ضِيقَ السجينِ بقَيدِهِ مِن فرطِ ما حملَتْ مِن الأوزار
مَن كان يحسَبُ أنْ يُمَدَّ بعُمرِه حُكمٌ أُقيمَ على أساسٍ هاري؟!
ومن الفظاعةِ أن يُمَدَّ رعيةٌ في ظلِّ دستورٍ لها وشِعار
ما يطلبُ المأسورُ من يدِ آسرٍ إسداء عارفةٍ وفكَّ إسار[1]

يقول الجواهري: ((في القصيدة قلت ما لا يقال ولا يطاق، قلت فيها ما لم يقله (موسى) في (فرعون) ....وأنّ القصيدة قد نشرت في أكثر من (خمس) صحف، ثم طلب د.(طه حسين) القصيدة قائلا:((هو أني أريد بها أن أجعل الحاكمين الضيقي الأفق، والمحدودي المعرفة في كل بلد عربي، يعرفون متى يأتي دورهم.!))[2]، وقد اختفى الجواهري لساعات معدودة بعد إلقائه القصيدة في منزل صديقه (سعد صالح) ولكنه غادر المنزل متحديا رجالات السلطة، ليذهب إلى جريدته (الرأي العام)[3]، ولعلها هي القصيدة القصيدة نفسها التي اتصل على إثرها (نوري السعيد) بالجواهري هاتفيا، ليعلن إعجابه بها.

نقل الدكتور (غسان الرفاعي) :((أن الجواهري قد أنشد قصيدة في العراق أيام (نوري السعيد)، نال (نوري السعيد) نصيبه منها. أطلقت المظاهرات ورددها المتظاهرون وسقط قتلى وجرحى، فاختفى في بيت صديق له. بعد أيام[4] اتصل رجل به بالهاتف. طلبه بالاسم الذي تنكّر به. وقال له::أنا نوري السعيد! استطيع أن أشنقك أم لا؟ رد:تستطيع! سأله:استطيع أن أذبحك؟ رد:تستطيع! قال له: لكن يا ملعون (خوش) قصيدة، خوش قصيدة))[5]أي أنها قصيدة جيدة.

وقد تعرض الجواهري لمضايقات كثيرة أيام حكم(نوري السعيد)، فقد خضع للتحقيق أكثر من مرة[6]، وسجن لمرات عدة كذلك، مما اضطره إلى أن يغادر العراق إلى مصر، وقد أعلن(طه حسين)عام (1951)بات الجواهري ضيفا على الحكومة المصرية[7]، ليهدم بذلك جسور العودة إلى العراق، وأنّه سيتابع نضاله ضد فساد الحكم كعادته من خارج البلاد[8]، وقد ترك بذلك فراغا واضحا على الساحة الأدبية في العراق، مما حدا بـ(خيري الهنداوي)بأن يعاتب(نوري السعيد)على رحيل الجواهري قائلا:

فهل أنتَ راضٍ أنْ يُهاجرَ شاعرٌ ويَنأى أديبٌ أو يجوعَ نَبيل

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 447.
(2) مذكراتي: 1 : 426.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 1 : 425.
(4) هناك اختلاف واضح بين الروايتين، فقد ذكر الجواهري في مذكراته وكما أسلفت انه لم يمكث في دار (سعد صالح) سوى سويعات، ثم غادرها، بينما رواية (الرفاعي) تقول أن الجواهري قد اختفى لدى صديقه أياما معدودة، ولعلها من زيادات الدكتور(الرافعي).
(5) آخر العمالقة: نادية خوست: 34. في ضمن كتاب(الجواهري وسيمفونية الرحيل).
((تذوق قليل من السياسيين شعر أعدائهم. فقال أحد وزراء الداخلية التركية عن (ناظم حكمت) أدنى مما قاله (نوري السعيد) عن الجواهري: اقتله كوزير داخلية، وابكي عليه شاعرا)).المصدر نفسه والصفحة.
(6) حين التقيته عند المحقق: 189. في ضمن(الجواهري وسيمفونية الرحيل).
(7) الأعمال الكاملة: 8.
(8) الجواهري شخصا كما عرفته: شوقي بغدادي: 158.في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل)

مضى الشيخُ " مهديٌ" إلى مصرَ لاجئاً وفي مصرَ حاشا أن يُضامَ نزيل
لقد ضاع في بغداد حتى كأنَّه غريبٌ بأرضِ الرافدينِ دخيل
لك اللهُ يا مهديُّ في القُربِ والنَّوى فأنتَ وإنْ لم تَلقنِي لَخَليل[1]

ثم عاد إلى العراق، وغادره مجددا عام (1954) إلى دمشق، وقد منح حق اللجوء السياسي فيها[2]، وكان ذلك في زمن (نوري السعيد) أيضا، ثم عاد إلى العراق كرة أخرى، ولم تمض سوى مدة وجيزة حتى قامت ثورة (1958).

رحلة الجواهري مع الملك فيصل الثاني

في (2مايس 1953)[3] بلغ (فيصل الثاني) سن الرشد القانوني، وهو تمام (الثامنة عشر) من العمر. وعلى إثر ذلك تم تتويجه ملكا على العراق[4]بعد أن عقد مجلسا النواب والأعيان جلسة مشتركة في (2) مايس جرى فيها تحليف الملك، وقد أعقب تتويجه استقالة وزارة (جميل المدفعي)[5]، بعد أن أوعز إليه من قبل الانكليز بتسليم رئاسة الوزارة إلى (فاضل الجمالي)، تمهيدا لانضمام العراق إلى الميثاق القائم بين تركيا وإيران، الذي أطلق عليه (حلف بغداد)[6] فيما بعد، والحقيقة التي ينبغي ذكرها، وما أجمع عليها الباحثون ((بالرغم من انتهاء عهد الوصاية، وتسلم (فيصل الثاني) لسلطاته الدستورية. إنّ (عبد الإله)، كما دلت الأحداث اللاحقة، استمر الحاكم الفعلي للدولة، واستمرت الأحوال كما كانت عليه في عهد الوصاية، ولم تظهر شخصية الملك ، أو آراؤه السياسية في أي من الأحداث السياسية، حتى قيام ثورة (1958) تموز))[7]، ومهما يكن من قول، فإنّ الجواهري قد عاش تلك الأحداث، وكان في صميمها، بل وفي مقدمة المدعوين لحفل التتويج، على الرغم مما أصابته من ويلات ونوائب، في عهد الوصي (عبد الإله)، حيث استشهد أخوه(جعفر)وقذف هو في غياهب سجن(أبي غريب)عام (1952)، غير أنه لم يتعظ، ليأتي بقدميه مهرولا لمدح الملك(فيصل الثاني) مع علمه المسبق بأن ممدوحه ربيب الاستعمار، يقول:((أقولها زلة وأكثر من زلّة...ذلك لأنني بمحض إرادتي، هرولت مسرعا إلى تلك الهاوية، ولأنني كنت أول العارفين أن هذا الممدوح ربيب مدرسة الاستعمار الانكليزي.))[8] ويروي الجواهري خلجات نفسه قبيل إلقاء قصيدته، ((إذ حاولت أن أغادر القاعة قبل بدء الاحتفال في حين كانوا قد أعلنوا عنّي من أن لي قصيدة. حاولت

(1) خيري الهنداوي حياته وشعره: 205.
(2) تنظر: مجلة الجوهرة عدد(1)2004 بغداد. وينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 72.
والتيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 75. وينظر: مذكراتي: 2 : 149 ،150. وينظر: الحاكم والشاعر والمدينة: 47 ،48. وينظر: الجواهري صحفيا: 212.
(3) ينظر: التطورات السياسي في العراق: 735.
(4) ينظر: عدنان الراوي حياته وشعره: 27.
(5) تنظر: جريدة الزمان: العدد(4728) ،(8)مايس 1953.
(6) ينظر: ميثاق بغداد، حقائق يبسطها مجلس العموم البريطاني: 13.
(7) التطورات السياسية في العراق: 736.
(8) مذكراتي: 2 : 122.

ثانية... (شكد عظيمة لو خرجت) أوشكت على الخروج مهما حدث، وأنت تعرف ما يترتب على ذلك..أنني جئت والدنيا قائمة، وتعرف بأنّي سأشترك.كانت نقطة حاسمة ومع الأسف.. قلت لنفسي أخرج ...ولكني لم استطع))[1]، وشرع الجواهري بقراءة قصيدته، وهو يدوس على ضميره، بقول ما لا يؤمن به[2] قائلا:

تِهْ يا ربيعُ بزهرِك العَطِرِ النـدِيِّ فالزهرُ تِبرٌ في المَليكِ الأمْجـد[3]

واستمر الجواهري مع وخز الضمير بمبالغاته، في حق ممدوحه، لينتفض ضمير (ناظم الزهاوي)، وهو يستمع إليه قائلا: (لا يا جواهري) يقول الجواهري: ((وكانت تلك (اللّا) وأنا في ذروة الصراع مع الذات، قد أشعلت الفتيل المزروع في جسدي، الذي أحاول عبثا أن أغطيه بحفنة من رماد المغالطة، وتراب التبرير، ودارت الأرض بي..وفقدت المقدرة على الموازنة بين ما هو كائن، وبين ما يجب أن يكون))[4] ويعدّها الجواهري بأنها غلطة ارتكبها في حياته قائلا: ((أنا جريء ..الشيء الذي اقتنع به أقوله، ولكن هذه القصيدة أنا غير مقتنع بها وعملتها (سويتها) وهي التي لم تدخل الديوان))[5]، وقد شعر (عبد الإله) بما كان يخفيه الجواهري في نفسه، وقد ابتدره بعد قائلا: ((إنك يا جواهري كنت على غير المعهود منك في إلقائك، وطبيعي وهو الداهية اللعين، أنه كان يتذكر، وعلى سبيل المقارنة بين ما كان مني في إلقائي أثناء تكريم ضيفه الرئيس (بشارة ألخوري)، وبين تلعثمي وتعثري في قصيدتي هذه))[6] والفرق واضح جلي، أن القصيدة الأولى كانت من الوجدان، والثانية مغتصبة، وعلى الرغم من كونها كذلك. إنّها قوية السبك عالية الجودة، وقد انتبه الدكتور: (الاعرجي) إلى هذه الناحية، فسأل الجواهري ((كيف استطعت وأنت تكره (فيصل الثاني) كل هذا الكره، أن تجود كل ذلك التجويد في قصيدة تتويجه؟ فقال صحيح أنني أكرهه ، وصحيح أنني نادم على القصيدة، لكن بما أنني نظمتها فكان ينبغي أن تليق بشاعرية الجواهري))[7] وقد روى (فرات) فيما بعد، أن الجواهري قال له بعد إلقاء القصيدة: ((ولدي فرات ...اعتبر أن أباك قد مات...))[8] ويعلق ويعلق (كاتبه) على مقولة فرات هازئا، بأن أباه لم يمت جسديا؛ لأنه نال قطعة أرض جزاء

(1) حوار مع الجواهري: أجراه معه محمد الجزائري: جريدة الجمهورية(العدد)2485 ،الملحق الأسبوعي: الأسبوعي: السبت،ت2 ،لسنة: 1975.
(2) ينظر: مذكراتي: 122.
(3) يقول الجواهري: ((قصيدة التتويج لم تدخل ديواني))، ولم يقتصر حذفها على ديوانه حسب، وإنما تعداه تعداه إلى مؤلفاته الأخرى وقد بحثت عنها كثيرا فيما كتبه الجواهري غير أني لم أجد لها أثرا سوى أنني عثرت على بيت يتيم منها لدى كاتبه (خلدون جاويد) في كتابه، لماذا هجوت الجواهري: 63.
(4) مذكراتي : 2 : 123.
(5) جريدة الجمهورية العدد(2485)ت2،لسنة: 1975.
(6) مذكراتي: 2 : 124.
(7) الشاعر والنبوءة: د.محمد حسين الاعرجي: 256.في ضمن كتاب(الجواهري وسيمفونية الرحيل)
(8) لماذا هجوت الجواهري: 63.

قصيدته على مشارف (علي الغربي)[1] وقد عدها الجواهري مثلمة أخرى في حياته، وندم وندم عليها أيضا، وسماها بـ(غاشية الخنوع) في قصيدته. وهو من مثالياته التي لم يصدقها احد لان واقعه يقرأ عكس ذلك

وعلى إثر تلك القصيدة، هوى الجواهري إلى أسفل المقامات، وأحطّ الدركات، في أعين من كانوا ينظرون إليه بالأمس بأنه حتف الطغاة، وقد استنكرت الأوساط الأدبية والشعبية ذلك على الشاعر الجواهري، وقد كانت الإجابة المرة والمبدعة على لسان احد الشعراء ليعارضه فيها بقوله:

صَهْ يا رقيعُ فمَنْ شفيعُك في غدٍ فلقد صَدِئْتَ وبانَ معدنُك الردي[2]

ومما يذكر- وكرد فعل سريع- أنّ امرأة عراقية رمقت الجواهري لتراه جالسا في مقهاه المفضل في (الحيدر خانه)، وأعطته مظروفا، وهي بالكاد تمد يدها الطاهرة، من خلال ردن العباءة، مظروفا يحتوي على ورقة نقدية هي دينار عراقي، والى جانب الدينار ورقة خط عليها بيت شعري يقول: (حرية الفكر لا تشرى بدينار) إشارة من هذه المرأة إلى السقوط الشعري المعنوي للجواهري، فالشعر والدينار يعادلان طعنة لا يحتملها قلب فيل!! [3]. والحقيقة أن القصيدة التي نظمها الجواهري في الملك (فيصل الثاني) كان يبغي منها إرضاء (الوصي عبدالإله)[4] والقرب منه، طمعا في جاه أو منصب، منصب، وكم من مرة سقط الجواهري في دائرة المتناقضات، محاولا الجمع بين الإباء والطمع، قائلا: ((أيمكن أن يجتمع الإباء والطمع أجل ممكن لفترة أو أكثر، يشتد الصراع فيها لمن خلق لواحدة منها، ويحاول الانسياق إلى الثانية، صراع قد يقصر أو يطول، ولكن الشيء المفروغ منه أن ينتهي الأمر به إلى ما خلق له منهما.))[5]، فهو منقسم النفس، النفس، بين طلاق السلطة، والندم على طلاقها[6].

أَوَكُلّما شارَفتَ مِن آمالِكِ الغُرِّ الحسان
ورعتْكَ ألطافُ العنايةِ بالرَّفاهِ وبالأمَان

(1) ينظر: نفسه.
وقد أخبر (فرات) الكاتب(خلدون جاويد) بأن أباه مدح الملك (فيصل) تحت طائلة التهديد، وهو قول عارٍ عن الصحة، ذلك لأن الجواهري في أغلب لقاءاته يعترف -وبصريح العبارة – أنها كانت بمحض إرادته دون أي إكراه، وقد استمعت إليه قبل أيام وهو يتحدث في مقابلة (تلفزيونية) حول الموضوع ذاته قائلا للمذيع الذي كان يحاول أن يخفف من وطأة الذكريات الأليمة عليه: ((لا تحاول قد كنت غلطانا في موقفي ذلك دون مبرر، ولن أسامح نفسي ما حييت))
W W W. Saadiah. Com\s\ show writing sdetail. Asp id =
(2) نقلا عن لماذا هجوت الجواهري: 64.
(3) ينظر: لماذا هجوت الجواهري: 63.
(4) ينظر: مذكراتي: 2 : 124.
(5) نفسه: 1 : 447. ولماذا هجوت الجواهري: 64.
(6) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 140.

أغْرمت بـالآهـاتِ إغـرامَ الحـنيـفـةِ بـالأذان[1]

إذ لم تمض سوى مدة وجيزة على مدحه مليك البلاد، حتى يفاجأ بإيعاز (نوري السعيد) بإغلاق جريدته، بحجة سن قانون جديد للمطبوعات، وأصبح الجواهري بلا مورد، فاضطر إلى أنْ يصبح فلاّحاً في الأرض التي منحت له، وهو غير بعيد عما يلاقيه الشعب من جور متعاقب، ومن تجبر الحاكمين، الذين انقضت أوزارهم الجمة ظهر الشاعر، حيث وزر الإذلال، والتجويع ووزر السجون[2]، التي أنفتحت أبوابها بكل مصاريعها، ووزر الأحكام العرفية، ووزر مضايقات[3] الشاعر، ووزر القصيدة (الهاوية) التي مدح بها الملك، وكان الشاعر يصارع بشعره؛ ليُذهِب الرجس عن نفسه، ويطهر ما علق ببدنه من أدران الماضي، فكانت قصيدة (كفارة وندم)، شاهدة على رد الاعتبار لضميره، الذي كان ينقض عليه ليل نهار، في نومه وصحوه يعذبه بأشد أنواع التعذيب[4] ليعلن أمام الملأ والتاريخ، بأن الاعتراف بالخطأ فضيلة، إذ يقول فيها :

سـتبقَى -ويَفْنَـى نيـزكٌ وشهـابُ- عـروقٌ أبِيَّـات الدِّمـاءِ غِضـاب
لِطـافٌ كأنفـاسِ النَّسـيمِ نوافـحٌ كرّيـاهُ صـمٌّ كالصُّـخورِ صِـلاب
عيَيْـتُ بِطـبِّ الأحمقـينَ وجَهلِهِـم بـأنَّ النُفـوسَ الخـيّراتِ عجـاب
فهُـنَّ إذا مـا الأمـرُ هـانَ أباطـحٌ وهُـنَّ إذا مـا الجِـدُّ جَـدَّ هضـاب
وهُـنّ " منيفـات " لأنَّ هُويَّهـا بألسُنِهِـنَّ يُـزدَرى ويعـاب
وهُـنّ " عظيمـاتٌ " لأنَّ صَريحـها يـئِنُّ أنـينَ الكلـبِ حـين يشـاب
أقـولُ وقـد كـلَّ الجـوادُ فلـم تَجُـلْ مسـومّةٌ، غَـالوا بِهـنَّ عِـراب
ولاح محـكٌّ للرجـالِ فلـم يكُـنْ هنالـك إلاّ زائِفـونَ كِـذاب
وصـوَّحَ قـاعُ الطيـباتِ وأعولَـتْ عليهـا مـن الضِـغْنِ الخبيـثِ ذِئـاب
حنانَيـك نفسـي لا يضـيقُ منـك جانـبٌ إذا ضـاقَ مـن رُحـب النُفـوسِ جِنـاب
فللَّيـثُ أضْـرى مـا يُـرى إذْ تهيجُـه وأقتـلُ مـا تخشـاهُ حـين يصـاب
ولكنّـي آسٍ لنـهبٍ مُقسّـم وليـسٍ بـه للصَّـالحينَ نِصـاب
ومعكوسةٌ حتـى كـأنَّ خَيَـاره بهِ خطأٌ...والأرذَلون صَواب[5]

وكان هذا أول تحد للملك ورهطه، ثمّ أردف تلك القصيدة بأخرى، وسماها (يا أمّ عوف)، ليقارن بين عالم الطهر الذي تعيشه (أم عوف)، وعالم الرجس الذي هرب الشاعر من أهله، ويقصد بهم الساسة الشياطين، ومن سار على دينهم فيقول:

يـا" أمَّ عـوفٍ " عجـيباتٌ لَيالينـا يُدْنيـن أهواءَنـا القُصْـوى ويُقصينـا

(1) الديوان: 2 : 327.
(2) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 78.
(3) ينظر: مذكراتي: 2 : 132.
(4) ينظر: نفسه: 2 : 122.
(5) الأعمال الكاملة : 4 : 659.

إنـــّا أتينـــاكِ مـــن أرضٍ مـلائِكُهـــا ... بـــالعُهرِ تُـــرجِم أو تُرضـــي الشَياطينـــا
إنْ لـــم يَلُـــحْ شـبحٌ للخَـوفِ يُفزعنـــا ... فيهـــا يَلُـــحْ شـــبحٌ للـــذُلِ يُصمينـــــا
يـــا " أم عـــوف " أأوهـــام مُضـــلِّلَةٌ ... أمِ الأســـاطيرُ يُبدعْـــنَ الأساطينـــا
أكُلَّمـــا ابتـــدعَ الإنســـانُ آلهـــةً ... للخيـــرِ صَـــيَّرها شـــرٌّ ثعابينـــا؟
يـا " أم عوف " سئِمنـا عَيشَ حاضرةٍ ... تَـــرُبُّ سِـقْطـــين شِرّيـــرا ومسكينـــا
وحشٌ وإنْ رَوَّض الإنْسيُّ جامحَها ... قفرٌ وإنْ مُلئتْ ورداً ونسـرينا[1]

وفي المرحلة نفسها كان الجواهري يتسقط أخبار القوم، ويترقب الأوضاع عن كثب وفي هذا الإثناء اتصل به (السفير السوري) ليدعوه إلى تأبين الشهيد (عدنان المالكي)[2] الذي اتّهم (نوري سعيد) باغتياله ليتسنى له حكم (دمشق) فوجد الجواهري في ذلك فرصة ثمينة يستطيع من خلالها، وضع النقاط على الحروف، لتعرية حكام العراق، فنظم قصيدته: (خلفت غاشية الخنوع) وألقاها في الحفل المهيب الذي أقيم في (دمشق) عام (1956) وفيها يقول :

خلّفـــتُ غاشـــيةَ الخنـــوعِ ورائـــي ... وأتـــيتُ أقـــبسُ جمـــرةَ الشـهـــداء
مـــاذا يَميـــزُكِ والســـكوتُ قسـيمةٌ ... عـــن خانـــعٍ، ومُهـــادنٍ، ومُـــرائي
خلِّـــي النُّقـاطَ علـى الحـروفِ وأوغِلـي ... فـي الجهرِ مـا وسِعتْ حُـروفُ هِجـاء
أسطورةُ " الأحلاف " سوف يمُجُّهَاالتا ... ريـــخُ مِـثـــل خرافـــةِ الحلفـــاء
قالوا " تعانقْنا " فقلتُ هنـئتُمُ ... بقرانِ فـرطِ خنـاً بفرطِ غبـاء[3]

وفي قصيدة (ذكرى المالكي) يتسامى الجواهري مفتخرا بأنّ شعره سلاح تخشاه (الفراعنة). وأنّه لم يحز تلك المنزلة السامية، إلا بعد أن دفع ثمن كل حرف قاله، وهو السجن والتشريد، قائلاً:

ويَحْطِـمُ العُمـرَ منّـا صَـوغُ قافيـةٍ ... فيهـــا حيـــاةٌ لأجيـــالٍ وأعمـــار
عـن كـلِّ حـرفٍ دفعْنـا فِديـةً فـدحت ... لـــو كـــان للحـــقِّ ميـــزانٌ وأسعـــار
نحـنُ الجبابرةُ الأعلَونَ يَرهَبُنـا ... إذ يُرهِقُ الناسَ " فرعونٌ " وجبَّار[4]

وبعد سنتين ضاق الجواهري ذرعا بدمشق، نتيجة مضايقات من قبل الوحدويين، وعلم أن لا مقام له بين من يكرهونه، فقرر العودة إلى العراق، ولم تأذن له السفارة العراقية بذلك، فدخل العراق بجواز سفر قد انتهت صلاحيته، متحديا بذلك كل قوانين الدولة العراقية، فألقي القبض عليه بتهمة التآمر على قلب النظام الملكي، بالاشتراك مع مجموعة سورية، على رأسهم (خالد بكداش)، في أثناء التحقيق أفهمهم الجواهري بأنه لا

(1) الأعمال الكاملة : 4: 672.
(2) ينظر: مذكراتي: 2 : 133.
(3) الأعمال الكاملة: 4 : 672.
(4) الأعمال الكاملة : 4: 697.

سوابق له فيما يدعونه، وأنه ثائر بالكلمة، وبعد تدخل وزير المالية السيد (مرجان) أخلي سبيله[1] ليعود ثانية إلى غاشية الخنوع، إلى أرض الخراب مزارعا من جديد. ولم تمض مدة وجيزة، حتى قامت ثورة تموز (1958) بعد أن احتل الثوار (قصر الرحاب) الذي كان يقيم فيه (عبد الإله) وتمت تصفيته ومن معه، ثم احتل منزل (نوري سعيد) و(دار الإذاعة) و(المطار) واحتل(عبد السلام) بغداد وأودى إلى قتل (فيصل الثاني)[2]، ثم دخل (عبد الكريم قاسم) العاصمة في أخر ساعات الصباح من اليوم نفسه واتخذ من وزارة الدفاع مقرا له[3]، وقد تحقق للجواهري ما تنبأ به عام (1926) بسقوط النظام الملكي، في قصيدته: (في الثورة السورية)إذ يقول:

مِنْ كانَ حَابي أنْ ... يقولَ الحقَّ إنّي لا أحابي
لا بُدَّ أنْ يأتي الزما ... نُ على بلادي بانقلاب
ويرى الذين توطَّنُوا ... أنَّ الغنيمةَ في الإياب
إنْ دالَ تصريفُ الزما ... نِ وآن تصفيةُ الحساب[4]

وقد صدق حدس الشاعر حين قامت ثورة (14) تموز (1958) فأطاحت بكل تلك الهياكل المنخورة ...فظلت في بيوتها تنتظر عقاب الشعب[5]. وقد أفرغ الجواهري مكبوتاته مكبوتاته القديمة، عبر قصيدته (جيش العراق)، التي نظمت تمجيدا للثوار عام:

قَلّمتَ أظفارَ الدَّعيّ ورهطِهِ ... مُتفائلاً بمصيرِهِم مُتَيمّنا
وبَدا لهُ العرشُ الوثيرُ مُزخرفاً ... بالداهنينَ وبالدُّعاةِ مُزيّنا
حتى إذا قَصَفَ المدافعُ حولَهُ ... دوّى، أدارَ برأسِهِ وتَيَّقنا
تبتْ يداكَ وأنتَ تملكُ أمَّةً ... إذ كنتَ من فِقْعٍ بِقرقرَ أهوَنا
اليومَ يُنشَرُ للحسابِ كتابُكُم ... في موطنٍ جَمَعَ الحِسابَ فدَّونا
وحماكم لعْقاً كأضباب الفلا ... بل تحسُدون الضبَّ يألفُ مكمنا
ستُحاسَبُون فإنْ عرَتْكُم نكسةٌ ... فسينطِقُ الرقْمُ الخبيثُ بما جنى
كنَّا نُبَصّرُهُم عواقِبَ بَغيهِم ... ممَّا تأصَّلَ جذرُه فتمكَّنا
من جمرةِ المُتظلِّمين وإنْ خَبَتْ ... ومن السَّوادِ المُستكين وإنْ وَنى
واليومَ يكتالون ما كالُوا لنا ... عدلاً، ونَسخرُ مثلما سخِروا بنا
واليوم تثقُلُ فوقهُم أشلاؤهم ... كالنخلةِ الجرداءِ يُثقِلها القنى
وأولاءِ هُم صَرعى تُجَرر امَّةٌ ... أسلابَهم جرَّ الخُيولِ الأرسنا[6]

(1) ينظر: مذكراتي: 2 : 149-155.
(2) ينظر: تأريخ العنف الدموي في العراق : 173.
(3) ينظر: مذاكرتي: 2 : 173.
(4) الأعمال الكاملة: 1: 151.
(5) ينظر الجواهري شاعر العربية: 389.
(6) الأعمال الكاملة : 4: 706.

على الرغم من عنف ألفاظ القصيدة، وقسوة معانيها، إن الجواهري بعد أن هدأت أنفاسه، واطمأنت نفسه، استنكر ما فعل بإفراد العائلة المالكة من قتل وتمثيل، قائلا: رغم أنهم رفعوا المصاحف، لماذا لم يقدموا إلى محاكم عادلة؟ ... ليس لديهم جرائم تدعو إلى القتل أو السحل[1]، كل جريمة العائلة المالكة أن الملك الصغير (فيصل الثاني) يسبح في حوض من ماء، أو أن رقصة صورت في السفارة، وهل هذه جرائم ضد الشعب. المستمسك الذي أدانوا به الملك أن رصيده (5000) دينار. إنّ سيارة (المرسيدس) بهذا السعر، وأن القصور الملكية بسيطة لا يرضى بها أي تاجر كبير في بغداد، فهي قصور متواضعة ، لماذا لم تحفظ ؟ ولماذا حطمت الثورة تمثال الملك (فيصل)على يد العابثين؟ أول رمز للحكم الوطني الذي كان يتطلع إلى (سوريا) كاشارة للوحدة، للقارئ أن يقارن بين هذه الوحدة وما يتشدق به المتشدقون اليوم[2]، ألا ما أروع إنصاف الشعراء! أنه برغم كل المرارات التي تجرعها بالأمس، هاهو ذا اليوم ينصف خصومه فينزلهم ما يستحقون.

(1) ((التربية الثورية لا تحتاج من يسحل ويهدم ويحرق ويخرب)) مذكراتي : 2 : 214.
(2) ينظر: مذكراتي : 195: 2 ،196 ،197 ،198.

تنديد الجواهري بالحكم الملكي

ما زال في العرب من لا يطيق انحراف الحاكم، متأسيا في ذلك بأجداده الذين أحصوا على الحاكم سلوكه وتصرفاته[1] فقوّموا اعوجاجه، ونددوا بهفواته وأنّ ما سنّه (بشار) من معاتبة الملوك بالسيوف، قد بات أمرا مألوفا لرهط شعراء العراق[2] الذين لم يكونوا بغافلين عما يجري في العراق بعد تنصيب الملك من ويلات ومآسٍ- بعد أن استبشروا بعهد جديد- وراحوا يتساءلون أين الاستقلال والحرية؟ فاستبدل بالأول الانتداب وبالثاني القهر والاستبداد[3] !فانحط الكرام وساد اللئام، بعد أن حاطوا أنفسهم بطائفة من المنافقين، ممن يؤثرون النفع القريب، فأغدقوا عليهم خيراتهم وغمروهم بنعمائهم، والآخرون جياع يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، وهم السواد الأعظم، فتشاءم الشعراء وبدأت مرحلة عهد جديد من الصراع بين الشاعر والحاكم[4] تجسدت في ((أصوات الشعراء العراقيين الذين كانوا يمثلون صرخات احتجاج وإدانة لذلك الحكم، ووسيلة تحريض للانقضاض عليه تمهيدا لإقامة حكم وطني.))[5]

ولم يكن انفجار الجواهري في وجه الحكام والتنديد بسياستهم إلاّ نتيجة تلك التراكمات التي تمثلت بالقهر والاستبداد، وقد تجمّعت في (لا وعيه) عبر سنين طويلة؛ لتخلق منه شاعرا غضبيا، خطابيا، مقاتلا، تترجح قصائده بين الشعر والسياسة[6]، وهذا ما أكدته الدراسات الحديثة: ((من أنّ الانفجار الذي تتجلى فيه الاندفاعية، ناشئ من تجمّع انزعاجات سابقة، وكان يمكن أن يستجيب العاطفي لكل واحد من هذه الانزعاجات في حينه، لولا أنّ الترجيع البعيد قد لجم الاستجابة، غير أنّ الترجيع البعيد قد ساعد هو نفسه على الاحتفاظ بآثار الانزعاج، فإذا تكرر هذا الانزعاج، وأصاب موضعا بعينه من الحساسية، انفجر العاطفي انفجاراً عنيفا...فإذا هو يندفع في حديث يلتهب حماسة.))[7]

إن الجواهري كان يحمل بذور الرفض في دخيلته ونمتها فيه الآفاق الناهضة لحركة التحرر الوطني، والقائمة على مقارعة الطغيان[8] فاتجه إلى:((فضح التناقض بين وضع الأقلية الحاكمة وأوضاع الأكثرية الساحقة من جماهير الشعب ومعاناتها القاسية.))[9]

---

(1) ينظر: الاتجاه القومي في الشعر العراقي المعاصر: 87: عمر الدقاق،مطبوعات معهد الدراسات العربية: القاهرة1961.
(2) ينظر: لغة الشعر الحديث في العراق: 111. وينظر: تأثير الحركات الفكرية على الشعر العربي: 150.
(3) ينظر لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: 92. وينظر: الرسالة العراقية: 53. وينظر: النظام السياسي في العراق: 55. وينظر: الوقائع الحقيقة: 66.
(4) ينظر الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 129.
(5) شعراء عراقيون: 5.
(6) ينظر: علم النفس والأدب: 181.
(7) علم النفس والأدب: 187.
(8) ينظر: الحاكم والشاعر والمدينة: 65، 66.
(9) في رحلة الفكر والتحول : هادي العلوي: 26.

إنّ التـأزم هـو الـذي يطلـق لسـانه سـلاحا يشـهره فـي وجـه العـدو، نتيجـة الفصـل والانشطار بين الطرفين[1]، فهو في شعره يشبه (فيكتور هيجو) في دفاعه عن الحرية، وتنديده بالطغيان[2]، ((فبعد الحرب العالمية الثانية حتى عام (1954) ، كان الشاعر يكثر من نظم القصائد السياسية، مهاجما في كثير من الأحيان نظام الحكم في العراق.))[3]، فمنذ فمنذ تلك المرحلة أخذ يوحد بين نفسه وأمته، أوحين أخذ يسقط غضبه الفردي على الأمة، ليجعله غضبا جماعيا، وإذا غلب هذا الغضب على أمره استشاط في وجه كل من يقف أمامه[4]مستلهما في ذلك مقولة (زوربا): ((كلما تقدم بي العمر ازددت تمردا، إنّي لا استسلم، بل أريد أن أغزو العالم))[5]. يقول الجواهري ((هكذا وجه واحد، ولسان واحد خلقت لأنسجم مع هذه النفس التي تحملني بمشقة وأحملها بمشقتين.))[6]إنّ الجواهري – وعبر قراءاته للأوضاع – قد توصل إلى حقيقة مفادها: أنّ الحكم في العراق قائم على أساس الكذب والدسائس[7] كما هو قائم في الوقت نفسه ((على أساس إرض الحاكمين، أو عارضهم، والمزيفون يعرفون كيف يرضون فلانا؛ ليصبحوا وزراء، إنها كعملية البيع والشراء))[8] . ومن أجل ذلك كان الجواهري يرى، أنّ الفساد الإداري قد استشرى في جسد الحكومة، ولا علاج لذلك إلّا بإجراء عملية جراحية كبرى له، كما في قصيدته، (شدّة لندن) وفيها يقول :

أزمـنَ الـدّاءُ فـي العـراقِ ولـن ... يشفيـه إلا الـجرّاح والعمليـه
قـد لففنـا كـلَّ المسـاوي فينـا ... بـرداءٍ مـن نهضـةٍ وطنيـه
مـا شـقينا إلاّ لأنـّا حسبنـا ... إنّ فـي الكـذب جـرأة أدبيـه [9]

فإننا بسبب نفاقنا وتخاذلنا قد أضعنا البلاد، كما أضعنا من قبلها بلاد الأندلس، حيث يقول:

بأنـدلس لنـا عـرشٌ وتـاج ... هـوى بهمـا التّخـاذلُ والنّفـاق
همـا شـيئانِ مـا اجتمعـا لشعـبٍ ... فإمّـا المُلـك فيـه، أو الشقـاق[10]

ثم يقول في قصيدة أخرى:

(1) ينظر: الحاكم والشاعر والمدينة: 66.
(2) ينظر: الجواهري شاعر من القرن العشرين: 163.
(3) الشعر العراقي الحديث، مرحلة وتطور: 100.
(4) ينظر: الحاكم والشاعر والمدينة: 59.
(5) في رحاب الجواهري : صباح المندلاوي: 24: دار علاء الدين: ط1: دمشق : 2000.
(6) مذكراتي: 1 : 267.
(7) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 212.
(8) الجواهري ذكريات أيّامي: 67.
(9) الأعمال الكاملة: 1: 174.
(10) الأعمال الكاملة: 1 : 158.

فيـا لـكَ مـن وضـعٍ تعاضـلَ داؤهُ ... تشـاطُ لـه نفـسُ الأبـيّ وتلهـب
ولله تبريـح الغيـارى بحالـة ... كمـا يَشتهـيها أشعبـي تقلـب
كأنـدلس لمـّا تدهـور ملكهـا ... مكنّـى جزافـا عندنـا وملقـب [1]

إذ كانت قصائد الجواهري تثير مشاعر الناس، ضد الحكام على الدوام [2]، فهو المترجم لمآسي الناس، ومن أجلهم تمرد على نظام الحكم، وهو يوجه رصاصة إلى الطبقة الحاكمة[3]، وأحيانا أخرى كان ينقدهم نقدا ساخرا يطفح باحتقارهم، ويدعو إلى الثأر منهم[4] فكان يحضر- وكما أسلفت- ذكرى أشخاص لا يعرف عنهم شيئا، ولكن اتخذ من منابرهم مدخلا لإثارة الناس على الحاكمين[5]، كما في قصيدة (عبد الحميد كرامي)[6] و(ذكرى المالكي)[7]، حيث فيهما نقل المعركة من بغداد إلى(لبنان) و(دمشق)، وكما في قصيدة:(هاشم الوتري)[8] حيث اتخذ من مناسبة تكريمه، مدخلا للنيل من السلطة بشكل غير مسبوق، وهكذا اتخذ من القضية الفلسطينية وسيلة، لتعرية رموز الحكم الملكي[9] ففي ففي قصيدة، (ذكرى وعد بلفور) يقول:

خـذي مسـعاك مُثخنـةَ الجـراحِ ... ونـامي فـوقَ داميـةَ الصـفاحِ
ومُـدّي بالممـاتِ الـى حيـاةٍ ... تسَـرُّ وبالعنـاء إلـى ارتيـاحِ
أعيـذُك مـن مصـيرٍ نحـن فيـه ... لقـدُ عـوّذْت مـن أجَـلٍ مُتـاحِ
تنصّـلَ منـه زوراً صائعـوه ... كمولـودٍ تحـدّر مـن سِفـاحِ
وذمُّـوا أنَّهـم كـانوا عكوفـاً ... عليـه فـي الغـدو وفـي الـرواحِ
فلسـطينُ تَوقَّـيْ أنْ تكونـي ... كمـا كنـّا بمَدرجَـةِ الرّيـاحِ[10]

بذلك أستطاع الجواهري ((تحويل القصائد الفلسطينية إلى وقدات من الجمر القيت على الملوك والرؤساء... ولم تتأجج عواطف الحقد في موضع كما تأججت في الثورة على الملوك والحكام))[11]، وهذا ما دفع الكاتب: (حسن العلوي) إلى القول: ((لقد استجمع

(1) الديوان: 2 : 15.
(2) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 141.
(3) ينظر: المعارضة الشعرية بين الجواهري والشعراء: د.صدام فهد الأسدي: 1، مهرجان الجواهري الأول في 2003/7/27.
(4) ينظر: تاريخ الشعر العربي الحديث : 51.وينظر: الجواهري والطغاة: د.سعيد عدنان: 2، مهرجان الجواهري الأول، في 2003/3/26.
(5) ينظر: مذكراتي : 2 : 83، وينظر: لماذا هجوت الجواهري: 69.
(6) الأعمال الكاملة: 4 : 591.
(7) الأعمال الكاملة: 4 : 698.
(8) الأعمال الكاملة: 3: 561.
(9) ينظر: التيار القومي في الشعر العراقي الحديث: 233.
(10) الأعمال الكاملة: 3: 446.
(11) مجلة الأيمان العدد (: 5)و (57): لسنة 1967.

الجواهري كل مفردات النقد السياسي وأفرغها في بطون، وعلى رؤوس رجال المنظومة الملكية، وملأ دواوينها بالفضائح، وجعل من رؤساء الوزارات والنواب، أضحوكة الدنيا، فكان الجواهري مساهما كبيرا في رسم صورة فاشية لنظام غير فاش))[1]. ويذكر الدكتور(الدكتور(الاعرجي) -مفارقة ولعلها إحدى خصائص الجواهري الشعرية- وهي أن الجواهري في حالة الرضا يعد الحكام أندادا، وفي حالة سخطه يسخر منهم[2]، كما سخر من (مصطفى العمري) في قصيدة: (طرطرا)[3] وهو رئيس الوزراء، وكذلك سخر من (أرشد العمري) بأسلوب لاذع دون أي خوف كما نجد ذلك

في قصيدة: (يا ثمر العار)[4] وفي قصيدة: (التعويذة العمرية)، وفيها يقول:

تركوا البلادَ وأمرَ هنّه لخيال مسعور بجِنّه
وموكل بالبائعين وبالدروب ورشهنّه[5]

غير أن الواقع يثبت أن تلك الميزة قد استمدها الجواهري من الشاعر (معروف الرصافي)، فقد كان الجواهري المعنف للحكومات يتذكره دائما، وكان معجبا بقصيدته الثورية المعروفة بـ(صك الانتداب)[6].

---

(1) الجواهري...قصائد قادمة من حضارة الكوفة : حسن العلوي : 12، 113، في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).
استغل الجواهري هامش الحرية في تلك المرحلة، بوصفه يعيش في ظل نظام ملكي بهامش (ليبرالي) صغير، غير أنه عندما تغيرت الأنظمة لا سيما في مرحلة (الستينات) وما بعدها غيّر الجواهري استراتيجيته الشعرية ،حيث يذكر (عادل حبة) أنه تحرش بالشاعر لمرة أو أخرى من أجل كتابة قصيدة ضد النظام، وذلك أيام كان الشاعر في العراق، فكانت الإجابة أن مدّ(أبو فرات) أصابع يده العشرة أمامه قائلا: لا استطيع تحمل حرقها..لا استحمل التعذيب، فأين الجواهري من المقولة القائلة: (إن القصيدة الحقة ،هي التي توصل بشاعرها إلى المشنقة) ينظر: لماذا هجوت الجواهري: 106.

(2) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 176.

(3) الأعمال الكاملة: 3 : 438.

(4) الأعمال الكاملة: 3 : 528.

(5) الأعمال الكاملة: 3 : 465.

(6) وفيها يقول:

أنا بالحكومة والسياسة أعرف ... أألام في تفنيدها وأعنف
علم ودستور ومجلس أمة ... كل عن المعنى الصحيح محرّف

ديوان معروف الرصافي: 2 : 461. وينظر: لنتذكر الجواهري: 23، دار المدى للثقافة والنشر، ببغداد،2007.

وقد خص الجواهري الشاعر الرصافي بأكثر من قصيدة لاسيما قصيدته: (معروف الرصافي) حيث يذكر الجواهري، بأنّ الرصافي قد صنع المجد، لأنه كان معارضا فيقول :

ونحتَّ من عودِ الطغاةِ ... وقد جسا نحتَ الشَّجير
وسحقْتَ (ديدان) الزعا ... مةِ أفرَخَتْ بين الجحور
المجدُ صِنْوٌ للدِّما ... ء وللسجون وللقبور

الأعمال الكاملة : 4 : 607.

إن القاسم المشترك بينهما، هو قول الحق من غير موارابة مهما كان الثمن، ولعل الصحف التي أصدرها الجواهري، فضلا عن دواوينه لتعد خير شاهد على أنه كان يشكل مصدر إزعاج للحكومة، وقد تعرضت جميع الصحف التي أصدرها الجواهريللغلق والتغريم من قبل السلطة[1]، كما انّه تعرض للتنكيل والاضطهاد مرات عديدة بسبب قصائده[2] معتقدا انه كلما سار بهذا الاتجاه آذن الصبح بانبلاج قريب ((أنّك كلما أغذذت السير قدما، قصر الليل وطال النهار....وقد عرفت هذه القاعدة وأنا امشي إلى الأمام))[3]، فعلى ضوء تلك القاعدة الفلسفية، وقّف الجواهري نفسه لمقارعة الطغاة، فهو في صراع مستمر معهم، فتارة يدكهم دكا، وتارة أخرى يرميهم بالحجر، فيقول:

صابرْتُ أعدائيَ، لهم حلباتُهم ... جَمٌّ، مخاوفُها، وليْ حلَباتي
أهْوي عليهِم بالجبالِ أدُكُّها ... يوماً، ويوماً اكتفي بحصاة
حتى إذا سرج الكمّى أمالَه ... وكبا به طِمرٌ أخو نزوات
أهوى على الليثِ الجريحِ ينوشُه ... ويفرُّ دودُ مزابلٍ قذرات
وأمَرَّ أثمان الخطيئةَ مُرةً ... حجرٌ أتى من مُعرقين جُناة[4]

صحيح أنّه يحيا بين الطغاة المستبدين، ولكن إذا اشتدت الأزمة وقامت الثورة، عندها يكون عند الماء الطاغي، قطرة للظامئين.

أنا بين الطّغاةِ[5]والطّغُمِ ... شامخٌ فوقَ قِمَّة الهرم
فاذا حان مَوعدُ الأزم ... وارتطام الجُموع بالنظم
خِلتني عند سيلها العرمِ ... قطرةً لامستْ شِفاه ظَمِي[6]

الجواهري الشاعر الذي لا يضعف، ولا يشكو مما لحق به من حيف، وأنّه سوف يري الأيام بأنّ المنازلة والمجابهة والصراحة من أنجع السبل في الحياة:

---

(1) أصدر الجواهري صحفا كثيرة منها: الفرات(1930) والانقلاب: (1936) والرأي العام: (1954) و(الأوقات البغدادية) وجميعها تعرضت للغلق لمهاجمتها السلطة وعندما منعت جريدته الأخيرة أبرق الجواهري محتجا على تعطيلها إلى (عبد الإله) وإلى (رئيس مجلس الأعيان) و(النواب) و(نقابة المحامين) ومختلف الأحزاب في العراق و(جمعية الصحفيين) ، كما أرسل صورة البرقية إلى (مجلس السلم العالمي)، و(لجان أنصار السلام) في دول العالم و(إلى مجلس الأمن) والى (جمعية حقوق الإنسان). ينظر: الجواهري شاعر العربية: 6، 74. وينظر مذكراتي: 1 : 251،283. وينظر: الأعمال الكاملة: 1 : 9. وينظر: شعراء عراقيون: 37.

(2) تنظر: مجلة الجوهرة: جابر شنكير: 26، العدد1، لسنة: 2004، بغداد. وينظر: الأعمال الكاملة: 4 : 650. وينظر: تاريخ الشعر العربي الحديث: 72. وينظر: شعراء عراقيون: 73. وينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 37.

(3) الأعمال الكاملة: 3: 387.

(4) الأعمال الكاملة: 7 : 1108.

(5) على الرغم من أن قصائد الجواهري، تتصف بعمومية الذم لرجالات الحكم، غير أنّه خص آخرين بالمدح، وعلى رأسهم (ياسين الهاشمي) في قصيدته، (المعارضة):

والسنة لدّ عن الحق ذود ... كأحسن ما حامى الحقيقة مقول

تنظر: جريدة الإخاء الوطني: عدد(24): 28 آب(أغسطس): 1931.

(6) الأعمال الكاملة: 5 : 806.

وسوفَ أري الأيامَ نقمةَ حاقدٍ إذا ما تقاضَاها أساءَ التقاضيا
وما ابتغي ردَّ العوادي منيخةً على يد مَن يُجزي إليَّ العواديا
ولكن بكفٍّ علَّمَ الزندُ مُقارعةً أو يسقطُ الزند واهيا
إذنْ لاستشَفَّ الناس نفساً تجلببتْ غباراً يغطّي أقتمَ الريش بازيا
وجدتُ دواءً في الصراحة ناجعاً ذا افتَقَدتْ نفسي طبيباً مداويا [1]

الجواهري تصدى لرجالات الحكم، منذ اليوم الأول من تنصيب الحكومة، من دون التعرض لشخص الملك مباشرة. ولعل أشهر القصائد التي هاجم فيها الجواهري الحكام[2] قصيدة :(الدم يتكلم بعد عشر)[3] و(عقابيل داء)[4] و(لعبة التجارب)[5] و(ساعة و(ساعة مع البحتري)[6] وفي الخمسينات بعد قصيدته (هاشم الوتري)، كتب أشهر صراعاته مع الحاكمين مثل:(كفارة وندم)[7] و(يا أم عوف)[8] و(يا مصر تستنهض الدهور)[9]و(خلفت غاشية الخنوع)[10] ويقول الجواهري: ((نتيجة قصائدي المتحدية كانت الصحف والمجالس كلها تشتمني، وتعرض بي ما يتجاوز حدود التأدب... إنّها معارك ضارية فهو قدري))[11].إنّ المتتبع لشعر الجواهري يدرك بجلاء أنّ معاركه الشعرية أخذت أخذت منحىً هرميا ابتدأت بالهمز واللمز، وانتهت باللعن والطعن والشتم والسخرية. فقصائد (العشرينات) أكثر هدوءا واتزانا من قصائد (الثلاثينات)، ولعل ذلك راجع إلى مكانة الملك السامية في نظر الجواهري، التي كانت تحول بينه، وبين ما شاهدناه في قصائده في (الثلاثينات) وما بعدها، بل أن التفاوت يظهر بشكل جلي في المرحلة الواحدة، فهو لم يقف عند الحد الأدنى من سلّم الصراع الشعري، وإنما كان يتسلقه طرديا نتيجة سلبيات الأحداث الطارئة، فمثلا في قصيدة (وخزات)، التي نظمها بعد تشكيل الحكم المسمى بـ (الوطني) يرمز إلى أوضاع العراق السياسية المتدهورة، بسبب المستعمر وولاته الذين لا حول لهم ولا قوة، فهو لا يشكو ضياع البلد، وإنما يشكو من الحراس والقوامين الذين جاءت بهم (السفارة البريطانية) إلى الحكم[12]، فيقول:

لا تفهَموا من كَلامي يا ناس أيَّ اعتراض

---

(1) الأعمال الكاملة: 2: 359.
(2) ينظر: الجواهري دراسة ووثائق: 110، وينظر: الجواهري شاعر التجديد والثورة: 65. وينظر: مذكراتي: الجواهري: 2 : 73.
(3) الأعمال الكاملة: 2: 772.
(4) الأعمال الكاملة: 2 : 321.
(5) الأعمال الكاملة: 2 : 329.
(6) الأعمال الكاملة: 2 : 306.
(7) الأعمال الكاملة: 3 : 657
(8) الأعمال الكاملة: 3 : 664.
(9) الأعمال الكاملة: 3 : 584.
(10) الأعمال الكاملة: 3 : 672.
(11) مذكراتي: الجواهري: 2 : 71.
(12) ينظر: الجواهري شاعر العربية: 247.

اســـــاخطٌ ليـــــت شِـــــعري " مـــــولاي " أم هـــــو راضـــــي
نريـــــدُ وضـــــعاً جديـــــداً لكـــــنْ بغـــــير مخـــــاض
شعبـــــي لهـــــذا وهـــــذا غنيمـــــــةٌ بالتراضـــــــي
لـــــم يبـــــقَ أيُّ حـــــراك فـــــي قلبـــــي النضّـــــاض
يـــــا حـــــاكمي يـــــا خصـــــيمي إقـــــضِ بمـــــا أنـــــت قـــــاض[1]

وفي قصيدة، (ساعة مع البحتري) يقيم موازنة، بين الماضي والحاضر، ويتخذ من الخليفة (هارون الرشيد) مثالا، وشتان ما بين أولئك وهؤلاء الذين رفعوا القصور بأموال الرعية، بعد أن تجاهلوا حقوقها، فأسلموها للأقدار كالعبيد، فيقول:

دورُ الخلائـــفِ عافهـــا سُمَّارُهـــا وتقطّعـــتْ أســـبابُها تقطيعـــا
ولقـد بكِيـتُ، ومـا البُكـا بمُرجـع مُلكـاً بشهـوةِ مالكِـيه بيعـا
زُرْ ساحةَ السجنِ الفظيعِ تجدْ بـه مـا يسـتثيرُ اللَّـومَ والتقريـعا
رفعـوا القصـورَ علـى كواهـلِ شـعبِهم وتجـاهلوا حقـاً لـه مشروعـا
ساسُـوا الرّعيـةَ بـالغرورِ سياسـةً لا يرتضـيها مـن يسـوسُ قطيعـا[2]

ثم راح الجواهري يعاتب الملك إذ كيف يرجو إصلاح الأوضاع بزمرة فاسدة؟ سرقت البلاد، وأذلت العباد، حتى باتت وجوههم كالحة من البؤس، فيقول في قصيدة (الملك والانتداب):

عجبـاً تـرومُ صـلاحَ شـعبِك ساسـةٌ بـالأمسِ كـانوا أصـلَ كـلَّ فسـاد
قُـمْ مـاشِ هـذا الشـعبَ فـي خُطواتِـه لا تتـركَنْ وطنـي بغيـر سـناد
علـتْ الوجـوهَ الواضـحاتِ كآبـةٌ ومحـا الـذُبولُ نضـارةَ الأوراد[3]

ثم يخاطبهم بأن يتركوا الشعب وشأنه، فلا يضعوا في طريقه الأشواك فيقول:

دعُـوا الشـعبَ للإصـلاحِ يأخـذ طريقـه ولا تقفـوا للمصـلحينَ بمَرصَـد
ولا تزرعـوا أشـواكَكُم فـي طـريقه تعوقونـه... مـن يـزرع الشـوك يحصـد[4]

ويتمزق الجواهري غيظا بين ما قرأه في التأريخ، وما يراه من وضع شاذ! إذ كيف يجوز للعراق أن يكون ممزق الأوصال؟، حيث لا عدل ولا دستور ولا نظام بعد أن كان مهدا للحضارات. لذا نراه يقول في قصيدته، (تحية الحلة) :

هنـا بـ " بابـلَ " قـام الفـنُّ تُسـندُه حضـارةُ المُلـكُ مـن أزمـانِ أزمـانِ
هنـا مشـى الفَـذُّ " بانيبـال " مزدهيـاً فـي موكـبٍ بـغُواةِ الفـنّ مُـزدان
مـن هـاهنا كـانَ تحضـيرٌ لأنظمـةٍ فـي المشرقـين وتـمهيدٌ لأديـان

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 108.
(2) الأعمال الكاملة: 1 : 213.
(3) الأعمال الكاملة: 1 : 83.
(4) الأعمال الكاملة: 1 : 63.

هنـا " حمـوراب " سـنَّ العـدلَ مُعتمـدا بـــه علـــى حفـــظِ أفـــرادٍ وعِمـــران[1]

أنّى وهل حقا أن هؤلاء أحفاد لأولئك الذين ساسوا العباد وقادوا البلاد؟ فيقول في قصيدة، (سبحان من خلق الرجال):

سـبحانَ مَـن خلـقَ الرّجـالَ فلـمْ يجـدْ رجـــلاً يحـــقُّ لمـــوطنٍ أنْ يخلقـــا
مـــا إن يُـــزالُ مرشـــحاً لأمـــوره متجبـــراً أو طامـــعاً، أو أحمقـــا [2]

(1) الأعمال الكاملة: 1 : 335.
(2) الأعمال الكاملة: 1 : 122. وينظر : الجواهري شاعر العربية: 310.
عام: (1926) أطل الجواهري على لوائح المرشحين لإدارة شؤون العراق فلم يجد من يصلح منهم فقال تلك القصيدة. ينظر: الجواهري... قصائد قادمة من حضارة الكوفة: 114.

إن تلك الأوضاع كانت تثير الجواهري، وقد تركت آثارها على نفسه، حتى تحولت إلى نقمة[1] مستديمة، يقذف بشواظ شعره الطغاة فيقول:

صَبَبْتُ على العُتاة شِواظُ نارٍ ... تعودُ بها الصفاة إلى احتِراق
ونَفَّضتُ السوادَ على وجوهٍ ... مصبَّغةِ اللِّحى بدمٍ مُراق[2]

وفي قصيدته المشهورة، (المحرقة) يفضح الجواهري الحكام من خلال مضي (عشر سنوات) على ثورة العشرين، وقد أبصر فيها من المآسي والفجائع، ما يود معه أنّه لو كان أعمى، حتى لا يرى ما رآه، وأنّه سمع ما يحز في نفسه، حتى صار يتمنى الصّمم ليجنب نفسه سماع الشجون والمكاره[3] حيث يقول:

مضَتْ حججٌ عشرُ، ونفسي كأنّها ... من الغيظِ سيلٌ سُدَّ في وجههِ المجرى
وأبصرتُ ما أهوى على مثلهِ العَمى ... وأسمعتُ ما أهوى على مِثله الوقرا [4]

وبعد أن سرد الجواهري تلك المآسي والمحن، كتب قصيدة، (الدم يتكلم بعد عشر)، حيث وبها اكتملت صورة القصيدة، لتنتهي بالقارئ إلى وجوب سبّ من كان سببا في تلك الأوضاع، ثم الثورة والقضاء عليهم[5]، كما ثار الشعب ضد المستعمر في ثورة العشرين، لأن دماء الشهداء تطالبهم بذلك فيقول:

قبل أنْ تبكي النبوغَ المُضاعا ... سُبَّ من جَرَّ هذه الأوضاعا
سُبّ من شاءَ أنْ تموتَ وأمثا ... لك همّاً وأنْ تروحوا ضياعا
اختبرنا، إنّا أسأنا اختبارا ... واقتنعنا، إنّا أسأنا اقتناعا
أثأري أنفساً حُبِسنَ على الضّيم ... وكيلي للشرّ بالصّاع صاعا
إنهِ هذا الصراعَ يادمُ بين الشـ ... ـعب والظلم قد أطلتَ الصّراعا[6]

ويمضي الجواهري - وبأسلوب بارع - في تصوير مشاهد من تنكّر الراعي للرعية، فضلا عن أساليب غير شريفة سلكوها للوصول إلى كرسي الحكم، وما اكتنفها من مشاهد مُضحكة، مبكية، كل ذلك نجدها في قصيدته، (في سبيل الحكم):

تصفّحتُ أعمالَ الورى فوجدتُها ... مخازي غطّوها بشتّى السّتائر
وحُبُّبَ تدليسٌ، وذُمّت صراحةٌ ... فلا عيشَ إلاّ عن طريقِ التآمر
وباتَ نصيبُ المرءِ رهناً لما يرى ... أولو الأمرِ فيه مثلَ لعب المُقامر
لقد ملَّ هذا الشعبُ أوضاعَ ثُلّةٍ ... غددتْ بينهُ مثلَ الحروف النَّوافر

---

(1) للجواهري قصيدة : عنوانها (نقمة) يتهجم فيها على الساسة في العراق وفيها يقول:
كلُّ البلادِ إلى صعود ... والعراقُ إلى هبوط
الأعمال الكاملة: 1 : 100.
(2) الأعمال الكاملة: 5 : 841.
(3) الجواهري فارس حلبة الأدب: 56.
(4) الأعمال الكاملة : 2: 268.
(5) ينظر: الجواهري فارس حلبة الأدب: 72. وينظر : الاتجاهات الأدبية في الشعر العربي الحديث: 158 ،159 ،160.
(6) الأعمال الكاملة : 2 : 272.

ولا أمــلَ الاّ علــى يــدِ مُصلِــحٍ حقــودٍ علــى هــذا التدهــورِ ثائــر
سنُضــحكُ قــرّاء التــواريخِ بعــدنا ونبــدو لهــم فــيهّن إحــدى النــوادر[1]

وقد أحدثت القصيدة ضجّة كبرى في الأوساط السياسية[2]، واعترف (ياسين الهاشمي) - وبشكل علني- بأنّ ما قاله الجواهري في (حالنا اليوم) لا تعبّر عن (عشر) الواقع المأساوي[3] ولأوّل مرّة يعلن الجواهري، بأنّ ما قاله فيها، لا يحتمله أي حاكم من من حكام الدول العربية، حيث فضح فيها ألاعيبهم بالتحكم بمصائر الناس لحساب مناصب ووزارات لآخرين[4]. وفي قصيدة، (عقابيل داء) يذكر الجواهري أن الوصول إلى السلطة السلطة كان أمرا ميسورا لمن يبيع نفسه وذمته للمستعمر، ولأذنابه الذين يحكمون باسمه فيقول :

ودَعْ عنــكَ تفصــيلاً لشــتَّى وسائِــلِ بهــا مّلكــوا هــذي الرقــابَ وقرّبــوا
فأيســرُها أنْ قــد أُطيــلَ امتهانُهــم إلــى أنْ أدّروا ضــرعَها وتحلّبــوا

ثم يقرع الحكام ويحمل عليهم حملة عنيفة، جزاء أفعالهم المنكرة، التي تعد أغرب من الغريب، إذ يقول :

عقابيــلُ داءٍ مــا لهُــنّ مُطبّــب ووضــعٌ تغشّــاه الخنــا والتذبــذب
ومملكــةٌ رهــنُ المشــيئاتِ أمرُهــا وأنظمــةٌ يُلهــى بــهنّ ويُلعــب
وناهيــكَ مــن وضــعٍ يعــيشُ بظِلّــه كمــا يتمنّــى مــن يخــونُ ويكــذبُ
ألا إنّ وضــعَ النَّهــيِ والأمــر عنــدنا غريــبٌ وأهــلُ النَّهــي والأمــرِ أغــرب
تداولَ هذا الحكمَ ناسٌ لو أنّهم أرادوهُ طيفاً في المنامِ لَخُيّبوا[5]

ويلاحظ أنّ القصائد، التي قيلت في مرحلة (الثلاثينات) لتختلف اختلافا جوهريا في لهجتها عن تلك التي نظمها في مرحلة (العشرينات)، حيث أن الجواهري لم يبق شيئا في نفسه لم يقله في الحكّام، وظلّ هذا العنف يتصاعد في شعره بتصاعد وتيرة الأحداث المؤججة لقريحته الشعرية، كما في قصيدته (لعبة التجارب)، التي تلت تلك القصيدة، ويستهلها بقوله :

هــو الحكــمُ إنْ حققــتَ لُعبــةَ يُسمّــونَ ترقيعاتــهُ بالتجــارب
لاعــبٍ فتجربــةٌ للحكم خَـلقُ موظّــفٍ وتجربــةٌ للشــعبِ تخــريجُ نــائب
وإنَّ بــلاداً بالتجــاربِ هُدّمــت وضُــيّعَ أهلوهــا لإحــدى العجائــب[6]

(1) الأعمال الكاملة : 2 : 340.
(2) بسبب هذه القصيدة عطلت الجريدة وقدم الشاعر للمساءلة. الأعمال الكاملة: 1 : 7. وينظر: مذكراتي: مذكراتي: 1 : 312 ،313.
(3) ينظر: المصدر نفسه: 1: 316.
(4) ينظر: نفسه: 1 : 309 ،310، 311. وينظر: الجواهري وسيمفونية الرحيل: 387.
(5) الأعمال الكاملة: 2 : 321. وينظر الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 211.
(6) الأعمال الكاملة: 2 : 329.

والحق أنّ ما قاله الشاعر - حصيلة تجارب كثيرة - لا مبالغة فيه، والعراقيون الذين عاصروا الحكم الملكي يعلمون علم اليقين، بأن ما يورده الجواهري من مفارقات حول رجالات تلك المرحلة، هي حقيقة واقعة غير خاضعة للتهويل، ذلك لأن التاريخ يشهد بأن جلّ الذين تربعوا على كرسي الحكم، لم تكن لديهم أية مؤهلات تذكر، بل والأنكى من ذلك أن العسكر منهم كانوا يشغلون وزارات مدنية مهمة، ونتيجة لاختلاف التركيب الأدائي أثمرت عن ثمار مرّة، دفع الشعب ثمنها في كل مرة، ويصل الجواهري بالقارئ - من خلال قصائده تلك- إلى مظاهر هذا الحكم فيقول:

وكان لِزاماً أنْ تتمَّ سيادةٌ عليه لأبناءِ " الذواتِ " الأطايب
وكان لزاماً أنْ تُقادَ جموعُه حفاةٌ عراةٌ مهطعين " لراكب " [1]

وفي قصيدة (خلّفت غاشية الخنوع) تهجم على المسؤولين في العراق، مما اضطره إلى طلب اللجوء، نتيجة غضب المسؤولين عليه، وقال فيها :

ما أنتِ إذْ لا تصدعينَ فواحشاً إلاّ كراضيةٍ عن الفحشاء
وعصَّارةٌ للرجسِ تنسفُ ما ابتنى الأجدادُ من أكرومةٍ وحياء
نسجوا نسيج العنكبوت وها همُ منه بليلة حاطبٍ عشواء
واهي الخيوط يشِفُّ عمّا تحته فكأنهم منه بغير غطاء
واعتاص رتق فتوقه حتى مشى سأمُ الكلال على يد الرّقّاء
دوَّى على المستعمرين صواعقاً وعي الشعوب ويقظةُ الدَّهماء
وجيوشُ بغيٍّ تستعينُ بمثلها من خائني وطنٍ ومن دُخلاء [2]

وبقي الجواهري يسير - وبلا هوادة - يقارع الحاكمين في كل بقعة ينزل فيها، كما في قصيدة، (عبد الحميد كرامي)، حيث هاجم نظام الحكم في كلا البلدين (لبنان) و(العراق)، محذّرا اللبنانيين والاتعاظ بما آلت إليه (ثورة العشرين) في العراق، حيث أنتجت حكما وطنيا كاذبا، فالحالتان (اللبنانية) و(العراقية) واحدة، إنّ العراقيين محكومون بأذناب المستعمر، كما الحال عندهم في (لبنان)[3]، وسقطت الحكومة في اليوم التالي في لبنان، وطرد الجواهري، ومما جاء فيها :

كنَّا لكُم نِعمَ النذيرُ لو أرعَوى غاوٍ، ولو ألوى به إنذار
ما أشبهَ التاريخ، دامي جُرحُنا كجروحكُم بأكفِّنِيا نغّار
كان الغريبُ، وكان بغيٌّ سافرٌ ولقد يُهوِّنُ مُنكراً إسفار[4]

وقد حصر الجواهري أفكاره في هجائه للحكام، باتجاهين رئيسين هما :

---

(1) الأعمال الكاملة: 2 : 329.
(2) الأعمال الكاملة: 4: 674. وينظر الجواهري بين مقارعة الطغاة والتشريد: مجيد الراضي: 139. في في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل).
(3) ينظر: جواهريات في الذاكرة: محمد دكروب: 181.في ضمن (الجواهري وسيمفونية الرحيل)
(4) الأعمال الكاملة: 4: 591. وينظر: شرح الأبيات في هامش المصدر نفسه.

أولاً: الحاكم العميل[1] الذي ينوب عن المستعمر في سوطه، والممثل لمصالح الإقطاع والبرجوازية[2]، وما يدّعونه من وطنيّة هي مغالطة لضمائرهم، إذ لا تجتمع الوطنية مع العمالة[3]، وإذا كانوا كذلك! لماذا لم يطردوا الوحش المحتل؟ ولماذا هذا الجوع[4]؟ ولماذا لا يتأسّون بـ (عبد الحميد كرامي)؟ الذي صان كرامته، بتركه مقعد الوزارة، عندما رأى أن المتحكّم الفعلي بالبلاد هو الاستعمار[5].

ثانيا: الحاكم اللص الذي لا همّ له سوى النهب، والارتشاء، وبناء القصور، والدور، والغرق في الموبقات والفواحش، فأطماعهم لا تتجاوز حدود البطن والفرج، فهم كالذئاب التي سمنت على لحوم نعاج، أرهقها الجوع وأهلكها الظمأ، وأنّ ما يدعونه من أداء الواجبات، وإسداء الخدمات للبلاد، لا يتجاوز التواقيع، وبناء الدوائر، وتوزيع الرواتب.

دَعُوا القومَ أحراراً يؤدّونَ واجباً ... ولا تحسَبوا سهلاً قياماً بواجب
ولا تحسَبوا سهلاً بناءُ دوائرَ ... وتوقيعُ أوراقٍ، وتوزيعُ راتب[6]

وفي قصيدة: (تأبين الغراف الميت)، يكشف الجواهري ما فعل حكام الشر بأبناء الخير من مجاعات وفضائع، حيث يقول:

أسفاً يهدُّ الجوعُ منكَ بطولةً ... يا معدِنَ الأشبالِ والأبطال
يا معدِنَ الشرّ الذين تقسَّمُوا ... لِسماحةٍ ورجاحةٍ ونزال
ذُخرتْ لأيامِ السُّرورِ قلائلٌ ... نزلتْ على الأوطانِ شرَّ عيال
وبنُوكَ قد ذُخِروا ليومِ كريهةٍ ... وضريبةٍ ومجاعةٍ وقِتال
ولقد يعزُّ على الشعورِ وأهله ... مرأى البلادِ، بمثلِ هذي الحال[7]

لقد أيقن الجواهري أن الفقر سببه الحكام لا الأقدار، فهو بذلك قد خالف شعراء عصره من خلال ربطه الأسباب بالمسببات، ((إذ كانت نظرته إلى الواقع تنحو منحىً علميا يربط الظواهر بأسبابها الموضوعية، فالفقر وامتهان كرامة الإنسان، وسلب حريته هي نتاج مباشر- أحيانا وغير مباشر أحيانا- لفلسفة الحكم وسياسة الحكّام))[8]. ومن أجل

(1) قصيدة (عبد الحميد كرامي): الأعمال: 5984. و(هاشم الوتري): الأعمال: 3: 565. و(كفرت): الأعمال: 7 : 1109. و(جمال الدين): الأعمال: 3 : 431. و(أنا الفداء): الأعمال: 4 : 627. و(ارج الشباب): الأعمال: 3 : 460، و(عالم الغد): الأعمال: 7 : 1089، وينظر: الجواهري صحفيا: 197، وينظر: الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 204، وينظر: العراق من الاحتلال حتى الاستقلال: 114.
(2) ينظر: لغة الشعر الحديث في العراق: 111.
(3) قصيدة: (عبد الحميد كرامي): الأعمال: 4 : 598.
(4) قصيدة: (النباشون): الأعمال الكاملة : 684.
(5) الأعمال الكاملة: 4 : 598. وينظر: (ذكرى المالكي): الأعمال: 4 : 692.
(6) الديوان: 2 : 237.
(7) الأعمال الكاملة: 2 : 242.
(8) في رحلة الفكر والتحول: 24.

ذلك حرّض الجواهري الجياع والمحرومين على الثورة على من كانوا سببا فيما هم فيه من بؤس وشقاء؛ لأن الجوع عامل أساس في تغيير الحكومات والأنظمة، ولعلّ تلك الفلسفة التي توصل إليها لتضع أيدينا على فلسفة قصائده التي وصم فيها الحكام باللّصوصية من خلال سرقتهم لأموال الناس، ببنائهم القصور، وإحيائهم لليالي الإنس والحبور، وأنّ المتتبع لشعر الجواهري يلمس-و للوهلة الأولى - أنّ جلّ قصائد الجواهري تدور في فلك هذا الموضوع[1]، بذلك يكون الجواهري قد جسّد حكّام عصره في دواوينه بأقبح صفتين تأباهما الرجولة-في كل زمان ومكان-هما:خيانة الوطن بالعمالة للأجنبي، والسرقة كما أسلفت. وأنّ إلحاح الجواهري باستمرار على تلك الموضوعات قد أزعج الحكّام كثيرا، مما دفعهم إلى معاملته بالترغيب تارة، وبالترهيب تارة أخرى، علّهم يستطيعون إسكاته، ولعلّ قصيدة (هاشم الوتري) من أشد القصائد إيلاما على السلطة، وأقربها مودّة إلى نفس الجواهري؛ لأنّه أفرغ كل مكبوتاته التي أفصح عنها في قصيدته: (المحرّقة) ، قبل (عشرين) عاما، ليرتجل محرّقة الأبيات قاذفة جمرا على رؤوس من ناصبهم وناصبوه العداء، بعد أن فقد عقال المحرمات، ليلبس جبّة التمرد من جديد، غير آبه لما هو آت، يقول الجواهري:((كنت مستعدا لأسوأ الاحتمالات، لأنّ الواجب يقضي بأن أحدّد موقفي... كان كلّ شيء يدفع إلي الحديّة: الجو السياسي ..المناسبة..شخص نوري السعيد..شخص الجواهري، كنت موطّنا نفسي حتى الموت))[2] فقد كانت بالجواهري حاجة إلى جولة صراع جديد، قائلا: ((اعتقد أن القنبلة المنزوعة الفتيل اقتربت من لحظة الانفجار الأخيرة، والبلاد تحت الظلال السوداء من مجالس الحكم العرفي. الوطن بخطر يحكمه اللّئام.. وهاهي الفرصة تأتي إلى من اعتاد سبّ اللئام وفضحهم))[3]، وكان الجواهري يومها في حالة نفسية، وضيق مالي، فضلا عن أنّ الأجواء في بغداد كانت متوترة بسبب إعدام (فهد)[4]، فتلك العوامل مجتمعة، دفعت الجواهري إلى أنْ يقول ما لا يقال، بعد أن استدان

---

(1) تنظر: قصيدة: (الأرض والفقر) : الأعمال: 4 : 670، و(تأبين الغراف الميت): الأعمال: 2 : 243، و(أنا الفداء): الأعمال: 4 : 627، و(عالم الغد): الأعمال: 7 : 1089، و(عبد الحميد كرامي): الأعمال: 4 : 598، و(النباشون): الأعمال: 4 : 684. و(جمال الدين الأفغاني): 3 : 431، و(تذكر العهود): الأعمال: 1 : 112. و(يا بنت رسطاليس): الأعمال: 3 : 476، و(يوم الشهيد): الأعمال: 3: 510، و(سبحان من خلق الرجال): 1 : 122. و(لعبة التجارب): الأعمال: 2 : 329، و(يدي هذه رهن): الأعمال: 2 : 267، و(في الثورة السورية): الأعمال: 1 : 150،151، و(النجوى): الأعمال: 1: 112. ونشرت في جريدة العراق عام: (1925) ونشرها في ديوان (بين الشعور والعاطفة): 89. وتنظر: مجلة الثقافة البغدادية عدد(نيسان): 1982. و(مجلة المجلة): الصادرة في لندن عام: 1985. وقد نشرت أبياتا تمس الحاكمين، وهي غير موجودة في دواوينه، ويقول فيها:

أبـــلادُ ملـــح تحـــتَ رملـتِهـــا ... بحـــرٌ مـــن الإبريـــزِ يرتـطِـــم
يُغـــري بهـــا السلطـــانُ واعظَـــه ... أنَّ الحظـــوظَ علـــى الـــورى قِسَـــم
أمُشـــرّدونَ وأرضُـــهم ذهـــبٌ ... ومُجـوّعـــونَ ونبتُـــها عمـــَم

(2) مذكراتي: الجواهري: 58، وما بعدها، وينظر: الأعمال الكاملة: 3 : 561. وينظر: ملامح من شاعرية شاعرية الجواهري: 15.

(3) لنتذكر الجواهري: ملحق جريدة المدى، دار المدى للثقافة والنشر: 44. وينظر: مذكراتي: 58.

(4)ينظر: جواهريات في الذاكرة: 186 ،18.هو فهد يوسف سلمان أحد أبرز الشيوعيين في العراق.

استدان مبلغا من المال؛ كي يضمن قوت أسرته من بعده إذا ما اقتيد إلى مجهول، بسبب ما سيفجره في حفل يحضره الطالب والمطلوب، والظالم والمظلوم، فإلى جانب الشباب كانت صفوف لـ (بكوات) و(باشاوات) بغداد، يتوسطهم ممثل(البلاط الملكي)، وقف الجواهري وقفة المحتفل بعيد ميلاده، قائلا:

حـدّثْ عميـدَ الـدارِ كيـف تبدلّـتْ ... بُـوَراً قِبـابٌ كُـنَّ أمـسِ مَحارِبـا
ولـمَ استباحَ الوغـدُ حُرمـةَ مَـن سـقى ... هـذي الـديارَ دمـاً زكيّـاً ساربـا
إنْ يعصـرْ المُتحكِّمـونَ دمـاءهُـم ... أو يغتـدوا صُـفرَ الوجـوهِ شواحبـا
يتبجَّحُـونَ بـأنّ موجـاً طاغيـاً ... سـدّوا عليـه منافـذاً ومساربـا
كَـذِبوا فمـلءُ فـم الزمـانِ قصائـدي ... أبـداً تجـوبُ مشارِقـاً ومغاربـا
تسـتلُّ مـن أظفارِهِـم وتحـطُّ مـن ... أقـدارهِم، وتثـلُّ مجـداً كاذبـا
خسِـئوا: فلـمْ تـزلِ الرجـولةُ حُـرّةً ... تأبـى لهـا غيـرَ الأماثـلِ خاطبـا[1]

ثم مزق الجواهري النص، كي لا يدان، وجمع (حسين مروة) القصاصات، ثم أرسلها إلى الطباعة في (لبنان) ونشرت[2]، ورجع إلى البيت قائلا:((نمت ليلة لا أسعد منها في حياتي))[3]، وكان الشاعر (البياتي) حاضرا الحفل، وكان خائفا على الجواهري من عواقب القصيدة[4]، ومن مضاعفاتها، تشاجر مفتعل، ثم إطلاق الرصاص بالقرب من من منزل الشاعر في الأعظمية، ثم مداهمة بيته، لأكثر من مرة، ومع هذا لم يعتقل أكثر من أسبوع[5]وقيل مدة (شهر)، وخرج وليس عنده سوى ملابسه، والمروحة العتيقة، وصندوق الثلج. وعاود الجواهري هجومه على رموز السلطة في قصيدة (عبد الحميد كرامي)

والآنَ نحـنُ إذا اشتكينـا غاصبـا ... قـالوا:أولاءِ بنوكُـم الأخـيارا!
أولاءِ أنـتم غيـر أنَّ إطـارهم ... منّـا، وبئْسـتْ صـورةٌ وإطـارا!!
ولـنحنُ أعـرفُ مـن هـمُ ... ولـمـن تُمثَّـلُ هـذه الأدوارا!
ولمـن هـمُتنهي وتـأمرُ مـا تشـاءُ ... ينهـى ويأمـرُ فوقَهـا استعمـار
عصابـةٌ ... فـي المشـرقين، ولاحـتِ الأنـوار[6]
عرفـوا مصـايرَهُم إذا جلّـى غـدٌ

ويستمر الجواهري بتشبيه الحاكم في البلد العربي (بالعجوز الشمطاء)، وقد تعوضّت عن جمالها المفقود، وعن شبابها الضائع، بما أفرغته على جسدها من هذا الجماد البراق من الحلي، فيقول في القصيدة نفسها:

---

(1) الأعمال الكاملة: 3 : 561.
(2) ينظر: جواهريات في الذاكرة: 186.
(3) لنتذكر الجواهري: دار المدى للثقافة والنشر: 44.
(4) ينظر: في رحاب الجواهري: 64.
(5) ينظر: مذكراتي: 2 : 68 : 69. وينظر: لنتذكر الجواهري: 44.
(6) الأعمال الكاملة: 4 : 599.

أبصـــرتُ شـــمطاءَ تتـــيهُ وفوقَهـــا تشـــكو الضيـــاعَ قـــلادةٌ وســـوار

جســدٌ تعــوّضَ بــالحلِّي وجرســـهِ إذ غـــاضَ منـــهُ شبابـــُه الفـــوّار[1]

ثم يشبه الجواهري الحاكمين، بأنهم سماسرة في أسواق النخاسة يبيعون شعوبهم للأجنبي. وفي قصيدة: (أطبق دجى)، يتهجم الجواهري بأسلوب ساخر، بعد أن شبههم بأقبح ما تمخّضت عنه مخيلته الشعرية، فقال:

أطـــبقْ علـــى هـــذه الـــكرو ش يمُطّهـــا شحـــمٌ مُـــذاب

مـــن حولهـــا بقـــرٌ يخـــو رُ وحولَـــه غـــرثى سِغـــاب

أطبـــقْ عـــلى مُتَنَفِّجيـــن كمـــا تفنجَّـــتْ[2]العِيـــاب[3]

مُستنوقِيـــنَ ويـــزأرو نَ كـأنَّهـــمْ أُسْـــدٌ غِـــلاب

فـــإذا التقـــتْ حَلَـــقُ البِطـــا ن وجـــدَّتْ النُّـــوبُ الصِّعـــاب

خفقـــتْ ظـلالُـــهُمُ ومـــا عـــوا مـــن نعومتهـــم فذابـــوا[4]

وما انفك الجواهري يكشف عيوبهم ويفضح دواخلهم ((وما اجمل هذا الشعرما قاله متهكما وهو يصف نماذج من افراد الطبقة الحاكمة يتميزون بمظاهرها، حتى ليكاد كل قارئ في العراق أن يسمّي من يعنيهم الشاعر بأسمائهم))[5]، فيقول الجواهري في قصيدته، قصيدته، (المحرّقة):

رأيـتُ مـن الإنسـانِ يُطغيـه عُجْبُـه مـن الخـزي مـا تأبـاهُ وحشِّـيةٌ تضـرى

إذا أُغريـتْ هـذي بأكـلِ فريسـةٍ فهـذا بـأنْ يلهـو بتعذِيبِهـا مُـغرى

أتعـرفُ كـمْ مـن أصـيدٍ مُمتـل قهـرا وكـم حـرةٍ تشـكو ومـن حولهـا الفقـرا

ليـنْعُمَ مَـن إنْ عـاشَ لـم يـدرِ نفعـهُ وإنْ مـاتَ لـم يعـرفْ لـه أحـدٌ قبـرا

يُقلِّبـــه بـــين الجُمـــوعِ دلالـــةً علـى أنّـه أذكـى مـن النـاسِ أو أثـرى

ومـا ميزَّتْـهُ عـن سـواه فـوارقٌ سـوى أنَّـه أتقـنَ الرقـصَ والزمـرا

وهـذا الـذي إحـدى يديـهِ بجيبِـه وأُخراهمـا تَلهـو بشـاربِه كِـبرا

ولـو فتَّشـوا منـه السِّبـالين شاهـدوا خلالهمـا العاهـاتِ محـشورةً حـشرا

وهـذا الّـذي رغـم النَّعـيمِ وشرخـه يُـرى حـاملاً وجهـاً مـن الحقـدِ مُصفـرّا

وهـذا الَّـذي إنْ أعجـبَ النـاسَ قولُـه مشـى ليريهـمْ أنّـه فـاتحٌ مِصـرا

وهـذا الـذي قـد فخَّمتْـهُ شهـادةٌ خلاصـتُها، أنَّ الفتـى قـارئٌ سطـرا

---

(1) الأعمال الكاملة: 4 : 591.
(2) المتنفج: المتكبر والمتضخم.
(3) العياب جمع(عيبة): السفط توضع فيه الثياب.
(4) الأعمال الكاملة: 3 : 568.
(5) الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث: 213.

ويكفيكَ منـهُ ساعـةٌ لاختباره لتعلمَ منهـا أنّه لـم يزل غِـرّا[1]

بذلك يكون الجواهري قد أطبق على الحاكمين من كل الجهات ينال منهم بكل أسلوب يحلو له، فعلى الرغم من كل ذلك لم يفكر خصومه من الحكام أن يتخلصوا منه بتصفيته جسديا، فدواوينه (السبعة) التي تكتظ بكل مفردات الطعن واللعن لم تعد دليل إدانة ترمي به في غياهب السجون إلّا مرة واحدة بغض النظر عن المضايقات الكثيرة التي تعرض لها. هنا لست أنسى حوارا لي مع محام من جيل الجواهري، في (السبعينات)، وكان خصما له. قال:((لقد كان سعر الرصاصة مائة فلس، وكان يمكن الخلاص منه برصاصة))[2].

فعلا يجب الاعتراف ببطولة الخصم أيضا، لم يكن الجواهري وحده بطلا فارسا، بل كان خصومه أيضا فرسانا، وكانت أخلاق الفروسية تضبط قواعد اللعبة.

(1) ينظر: الأعمال الكاملة: 2 : 268.

(2) www0Sotalirage0com\i\Article'